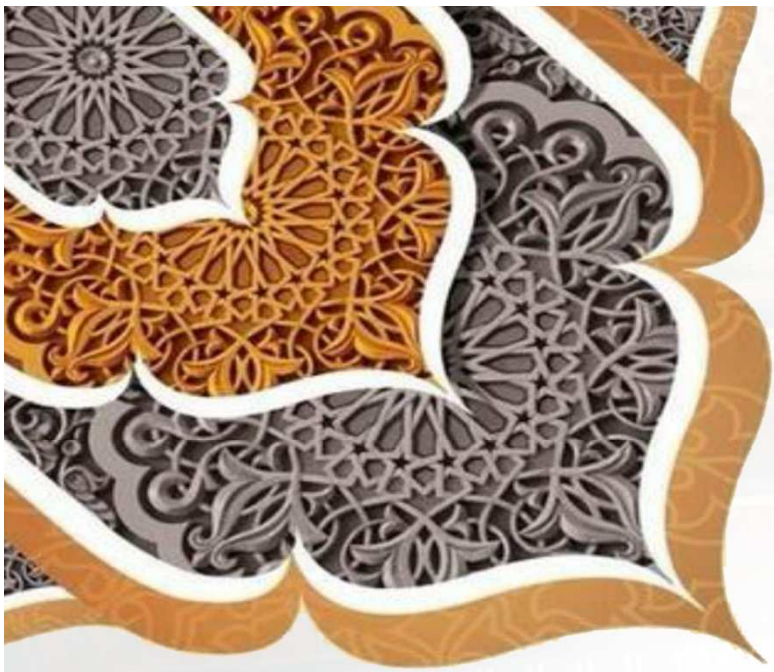


الإصـــــدار الثاني

لعام 1441هـ

حقيبـــة الداعية في رمضان

المواضيع

درس الظهـــر
أحكام الصيام (تأصيل وتطبيق)

درس العصـــر
تفسير ســـورة الدخان

مواعظ التراويح
قصة يوسف دروس وعبر

درس المعتكف
عمل اليـــوم والليلة (1)

الخطب المنبرية الرمضانية

جمعت الحقيبة من مواد رمضانية ألقاها /

فضيـلة الشيخ :

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

أستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون





تفسير سورة الدخان

سورةالدخانسورة مكية، لم يصح شيء مما ورد في فضل قراءتها عن نبينا ﷺ، وقد تناولت:

١- ذكر نزول القرآن، وإرسال الرسول.

٢- ثم انتقلت لذكر ما لاقاه النبي ﷺ من دعوة قومه.

٣- ثم انتقلت للماضي فذكرت قصة فرعون وإغراقه، وأشارت لقصة قوم تبع .

٤- ثم انتقلت لذكر المستقبل؛ واليوم الآخر من يوم الفصل، والنار، وما فيها من شجرة الزقوم، والجنة، وما فيها من النعيم .

حم (١)

حرفان من الحروف العربية التي بها أنزل الله تعالى هذا القرآن العظيم .

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)

أقسمالله تعالى بالكتابالمبينلكلمايحتاجه الإنسان؛ من بيان وإرشاد .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)

جواب القسم، وكان إنزال القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ مفرقًا؛ لإنذار الناس وتذكيرهم بما ينفعهم وما يضرهم.

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)

وفي هذه الليلة أيضًا يفصل ويبين ويفرق من اللوح المحفوظ إلى صحف الملائكة ما سيحصل للناس في سنتهم من أرزاق وآجال وأقدار، ومن كل أمر محكم لا يُغير ولا يُبدل .

أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)

أمرًا شرعيا أو أمرًا قدريًا أنزله الله تعالى في هذه الليلة المباركة، وأرسل به رسله، ومن حكمة إنزال الكتاب وإرسال الرسول:

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦)

١- أن الله تعالى يرحم بذلك عباده في الدنيا والآخرة .

٢- ولأنه سبحانه هو السميع لحاجاتهم العليم بما يصلحهم .

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧)

٣- ولأنه سبحانه هو خالق الكون ومدبره والمتصرف فيه بما شاء عز وجل .

فمن أيقن بذلك لزمه اتباع الوحيين، وفاز بالسعادة في الدارين .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨)

وغاية إنزال الكتاب وإرسال الرسول تقرير حقيقة أنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل، فهو :

١- الذي يملك الإحياء والإماتة، وكل الخلق يموتون، فكيف يعبدون !.

٢- وهو ربنا ورب من قبلنا، فكيف يكون من الخلق إلهٌ لقوم كانوا من قبله ! .

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

فإذا كان المتعين بالإيقان بذلك، فعجب حال قوم كاهت قلوبهم منه في شك، وجوارحهم تجاهه في لعب .

ثم توعدهم الله وتهددهم :

فَارْتَقِبْيَوْمَتَأْتِيالسَّمَاءُبِدُخَانٍمُبِينٍ (١٠)

انتظر يا محمد يوم يأتي الدخان، واختلف في المراد بالدخان في هذه الآية على قولين:

١- قال ابن مسعودﷺ: هو الدخان الذي تخيلته قريش لما دعا عليهم الرسول ﷺ بالقحط، فأكلوا من شدة الجوع العظام والميتة، وتخيلوا أن السماء فوقهم كهيئة الدخان، فناشدوا الرسول ﷺ بالرحم أن يدعو الله، فيكشفه عنهم، فدعا لهم الله، فلما كشفه الله عنهم عادوا للكفر؛ كما في الصحيحين، واختاره ابن جرير.

٢- وقال علي وابن عباسﷺ: هو الدخان الذي يكون من علامات الساعة آخر الزمان؛ كما في صحيح مسلم، فيتضرع الكافرون والمنافقون وقتها إلى الله أن يكشف عنهم العذاب، واختاره ابن كثير .

وإذا تابعنا سياق الآيات نجد أن الدخان وُصِف بثلاثة أوصاف:

١- مبين: أي واضح، وليس مجرد خيال، وهو يقوي القول الأول، ويحتمل أن المراد أنه مبين بحسب ما ظنته قريشٌ وقتها، فقد كان الرجل يكلمه الرجل، فيسمع صوته، ولا يراه من شدة الدخان .

يَغْشَىالنَّاسَهَذَاعَذَابٌأَلِيمٌ (١١)

٢- والصفة الثانية: أن الدخان يشمل الناس ويحيط بهم، وهل ال في النـــاس للعموم، فتؤيد القول الثاني، أو للعهد، والمقصود بها كفار قريش؛ فتؤيد القول الأول، محتمل .

٣- والثالثة: أن الدخان قد خلص وجعه إلى قلوب الناس، فوجدوا منه أشد الألم، فصاحوا: هذا عذاب أليم، وصاروا يستغيثون:

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)

ومن الذي يطلب ذلك ؟، محتمل:

١- على القول الأول: أن الذي طلبه كفار قريش .

٢- وعلى القول الثاني: يطلبه من تقوم عليهم الساعة، وقـــد رأوا طلـــوع الشمس من مغربها؛ فآمنوا، ولن ينفعهم وقتها إيمانهم .

وأي إيمانٍ هذا الذي جاء وقت رؤية العذاب:

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣)

كيف ينفعهم التذكر والإيمان يومها !، وقد جاءهم أعظم ذكرى؛ رسول مبين – هو محمد ﷺ–ومعه الآيات العظيمة والقرآن الكريم فلم يؤمنوا به، بل كان موقفهم:

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤)

١- أعرضوا عن اتباعه؛ بقلوبهم وجوارحهم .

٢- واتهموه بألسنتهم بأنه:

أ- يعلمه هذا القرآن بشرٌ .

ب- وأنه مجنون؛ لا يعقل، وهذا من تناقضهم، فكيف يكون متعلمًا ومجنونًا في ذات الوقت! .

وهذا السياق يؤكد أن المراد بالدخان ما ذكره ابن مسعودﷺ؛ لأن هذا إنما كان صنيع قريش برسولنا ﷺ .

إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)

وهذا الذي جرى من قريش، فبعد أن كشف الله تعالى عنهم العذاب عادوا لكفرهم، وهو حال المعرضين في كل أمة؛ كما قال تعالى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}، فكشفه الله عنهم قليلًا لإقامة الحجة عليهم، وأخبر أنهم سيعودون لكفرهم .

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦)

١- قال ابن مسعودﷺ: يوم البطشة الكبرى يوم بدر؛ لأن الخطاب لقريش .

٢- وقال ابنعباسﷺ: هويومالقيامة، والأقرب الأول؛ لما اخترناه أن السياق كله لقريش .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ

ونحو هذا الاختبار الذي اختبر الله به كفار قريش وقع نحوه لفرعون وقومه، فاختبرهم الله بالطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، فدعوا الله وأعلنوا الإيمان، فلما كشفها الله عنهم عادوا لكفرهم، فانتقم الله منهم ببطشة كبرى؛ كما قال تعالى: (فأهلكناأشدمنهمبطشاً)، فصّلتها الآيات التالية:

وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)

أرسل الله إليهم نبيًا كريمًا، أمينًا في إبلاغ رسالة الله تعالى؛ هو موسى عليه السلام، فدعاهم إلى أمرين:

١- أن يرسلوا معه قومه بني إسرائيل الذين استعبدوهم ظلمًا، وهم عباد لله، ليس لفرعون وقومه عليهم عبودية؛ كما في قال تعالى: (أن أرسلمعنابنيإسرائيل) .

وَأَنْلَاتَعْلُواعَلَىاللَّهِإِنِّيآتِيكُمْبِسُلْطَانمُبِينٍ (١٩)

٢- أن أطيعوا الله تعالى، وآمنوا به، ولا تتكبروا عن طاعته، وتستكبروا على عباده.

ومع أمانة هذا الرسول وحسن خلقه، فمعه من الآيات والحجج الظاهرة الواضحة ما يدعوهم لاتباعه .

وَإِنِّيعُذْتُبِرَبِّيوَرَبِّكُمْأَنْتَرْجُمُونِ (٢٠)

ومعه كذلك الحفظ من الله تعالى، فلا تستطيعون أن تقتلوه أو ترجموه بالحجارة، كيف وقد استعاذ بربه فأعاذه سبحانه؛ كما قال تعالى: (وَلَهُمْعَلَيَّذَنْبٌفَأَخَافُأَنْيَقْتُلُونِ (١٤) قَالَكَلَّا)، وفي الآية الأخرى: (وَنَجْعَلُلَكُمَاسُلْطَانًافَلَايَصِلُونَإِلَيْكُمَا) .

وإن كان الله حمى موسى عليه السلام وهو في المهد، ورباه في حجر عدوه، فكيف لا يحميه بعد أن جعله رسولا !.

وَإِنْلَمْتُؤْمِنُوالِيفَاعْتَزِلُونِ (٢١)

ولكم مع دعوتيثلاثمراتب:

١- الإيمانبي، وهو مقصود دعوتي .

٢- تركي أدعو إلى الله، ومسالمتي، فلا تتعرضوا لي .

٣- أو تُعادوني؛ فأدعو الله عليكم أن يهلككم .

فَدَعَارَبَّهُأَنَّهَؤُلَاءِقَوْمٌمُجْرِمُونَ (٢٢)

فأجرموا، وحاربوه، وظلموا اتباع دينه، فدعا الله عليهم؛ كماقالتعالى: (وقالموسىربناإنكآتيتفرعونوملأهزينةوأموالافيالحياةالدنياربناليضلواعنسبيلكربنااط مسعلىأموالهمواشددعلىقلوبهمفلايؤمنواحتىيرواالعذابالأليم .قالقدأجيبتدعوتكمافاستقيما).

فَأَسْرِبِعِبَادِيلَيْلًاإِنَّكُمْمُتَّبَعُونَ (٢٣)

فاستجاب الله له، وبدأت رحلة إهلاك فرعون وقومه:

١- أمر الله موسى أن يسرِ مع قومه عامة الليل، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونهم .

وَاتْرُكِالْبَحْرَرَهْوًاإِنَّهُمْجُنْدٌمُغْرَقُونَ (٢٤)

٢- فرق الله لموسى وقومه البحر، وأمر موسى بعد أن نجا وقومه أن يترك البحر على هيئته؛ حتى يدخل فيه فرعون قومه، وأخبره أنه تعالى سيغرقهم فيه .

كَمْتَرَكُوامِنْجَنَّاتٍوَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍوَمَقَامٍكَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍكَانُوافِيهَافَاكِهِينَ (٢٧)

٣- هلك فرعون وترك من ورائه بساتين بديعة، وعيون عذبة، وزروع وأقوات، ومساكن فخمة أنيقة، ونعم وفواكه كثيرة، كانوا فيها متنعمين فرحين .

كَذَلِكَوَأَوْرَثْنَاهَاقَوْمًاآخَرِينَ (٢٨)

٤- انتقلت هذه النعم إلى القوم المستضعفين الذين آمنوا بالله، واتبعوا رسوله؛ كما قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَاهَابَنِيإِسْرَائِيلَ)، وقال: (وأورثناالقومالذينكانوايستضعفونمشارقالأرضومغاربهاالتيباركنافيها) .

فَمَابَكَتْعَلَيْهِمُالسَّمَاءُوَالْأَرْضُوَمَاكَانُوامُنْظَرِينَ (٢٩)

٥- وكان فرعون وقومه أهونعلىاللهمنأنتبكيعليهمالسماءوالأرض، أو يبكي عليهم وعلى ذهاب مملكتهم أحد ممن هو فيهما؛ لحقارتهم وهوانهم عند الله، بل استبشر الكل بهلاكهم؛ لأنهم بكفرهم أحلوا على أنفسهم لعنة الله والمخلوقات أجمعين .

٦- ولم يمهلوا، أو تؤخر عنهم العقوبة، بل عالجتهم بغتة؛ لشدة كفرهم وفسادهم .

ثم انتقلت الآيات إلى ذكر أهل النجاة والتكريم:

وَلَقَدْنَجَّيْنَابَنِيإِسْرَائِيلَمِنَالْعَذَابِالْمُهِينِ (٣٠)

فامتن الله على بني إسرائيل بنجاتين:

١- نجاهم الله تعالى منإهانةفرعونوإذلالهلهم،وتسخيرهإياهمفيالأعمالالمهينةالشاقة.

مِنْفِرْعَوْنَإِنَّهُكَانَعَالِيًامِنَالْمُسْرِفِينَ (٣١)

٢- ونجاهم سبحانه من إسرافه في تعذيبهم، وعلوه واستكباره؛ بقتل أطفالهم واستحياء نسائهم.

فلأيّ شيء تفخر قريش بقوتها وغناها على النبي ﷺ وأصحابه !:

١- هل تفخر بقوتها: وقد نجى الله بني إسرائيل المستضعفين في الأرض، وأهلك الطاغية فرعون المستكبر والمسرف في الأرض .

وَلَقَدِاخْتَرْنَاهُمْعَلَىعِلْمٍعَلَىالْعَالَمِينَ (٣٢)

٢- أم هل تفخر بملكها: وقد أورث الله بني إسرائيل ملك فرعون، وقصوره .

٣- أم هل تفخر بحسبها: وقد فضّل الله بني إسرائيل لما أطاعوا الله تعالى على أهل زمانهم، على علمٍ من الله تعالى باستحقاقهملذلكالفضل.

وَآتَيْنَاهُمْمِنَالْآيَاتِمَافِيهِبَلَاءٌمُبِينٌ (٣٣)

٤- أم هل تفخر بأمجاد آبائها: وقد أعطى الله بني إسرائيل من الحججوالبراهينوخوارقالعادات ما فيه بلاءٌ مبين؛ أي نعمة ظاهرة؛ كقوله تعالى: (وَلِيُبْلِيَالْمُؤْمِنِينَمِنْهُبَلَاءً حَسَنًا)، ومن ذلك:

أ- الشر الذي كفه عنه: كإنجاؤهم من الغرق، وفلق البحر لهم، وإغراق عدوهم وهم ينظرون .

ب- والخير الذي تفضل به عليهم: كتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى عليهم .

فهل تظن بعد ذلك قريشٌ أنها إن آمنت بالله عز وجل: ستتخطفها العرب، أو أنها تفتقر؛ لقطع الجلب عنهم!.

وهل ستنكر قريش البعث بعد الموت ؟، وقد علمت أن من الآيات التي تفضل الله بها على بني إسرائيل : إحياؤهمبعدإماتتهم:

أ- حينطلبواالرؤية؛فأخذتهمالصاعقة.

ب- وحينخرجوامنديارهم- وهمألوف -حذرالموت.

إِنَّهَؤُلَاءِلَيَقُولُونَ (٣٤)

فبأيّ حجة تجرأ كفار قريش الأذلاء الأقلاء على الله تعالى بقولهم:

إِنْهِيَإِلَّامَوْتَتُنَاالْأُولَىوَمَانَحْنُبِمُنْشَرِينَ (٣٥)

ليست هناك حياة إلا هذه الحياة الدنيا، وليس هناك حياة أخرى ولا نشر ولا بعث بعد الموت، ويستدلون على ذلك تنطعًا بقولهم:

فَأْتُوابِآبَائِنَاإِنْكُنْتُمْصَادِقِينَ (٣٦)

ما لنا لا نرى آباءنا الذين ماتوا يرجعون للدنيا، ابعثوا لنا قصي بن كلاب وبقية آبائنا نسألهم عن أحوال الآخرة والبعث بعد الموت؛ إن كان ذلك حقًا ! .

أَهُمْخَيْرٌأَمْقَوْمُتُبَّعٍوَالَّذِينَمِنْقَبْلِهِمْأَهْلَكْنَاهُمْإِنَّهُمْكَانُوامُجْرِمِينَ (٣٧)

و لم يجبهم الله لذلك؛ لأنهم لو رأوا ذلك لم يؤمنوا به، بل :

١- هددهم الله تعالى، وذكرهم بمصرع من يعرفون خبرهم، من العرب القحطانيين الذين سكنوا معهم في الجزيرة العربية، وكان ملكهم عظيمًا؛ إنهم قوم تبع ملوك حمير في اليمن، لما عظم إجرامهم أهلكهم الله تعالى - كما في سورة سبأ - كما أهلك المجرمين من قبلهم، فهل هم خيرٌ فيالدينوالدنيا منهم!.

وَمَاخَلَقْنَاالسَّمَاوَاتِوَالْأَرْضَوَمَابَيْنَهُمَالَاعِبِينَ (٣٨)

٢- ثم أرشدهم الله تعالى إلى أن يحكّموا عقولهم: هل من الحكمة أن يخلق الله السموات والأرض وما بينهما عبثًا، ثم لا يثيب من أطاعه، أو يعاقب من عصاه ؟.

مَاخَلَقْنَاهُمَاإِلَّابِالْحَقِّوَلَكِنَّأَكْثَرَهُمْلَايَعْلَمُونَ (٣٩)

بل لم يخلقهما الله وما بينهما إلا لإقامة الحق وإظهاره، والعمل به، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن الأمر كذلك؛ لذلك اجترؤوا على المعاصي والإفساد في الأرض .

لكن حكمة الله تعالى تقتضي أن يكون هناك يوم للفصل بين العباد:

إِنَّيَوْمَالْفَصْلِمِيقَاتُهُمْأَجْمَعِينَ (٤٠)

إنه يوم القيامة ومن صفاته:

١- أنه يومٌ يجمع الله تعالى فيه الخلائق كلهم؛ أولهم وآخرهم، لا يتخلف منهم أحد، ثم يفصل بينهم، فيعذبالكافرين،ويثيبالمؤمنين.

يَوْمَلَايُغْنِيمَوْلًىعَنْمَوْلًىشَيْئًاوَلَاهُمْيُنْصَرُونَ (٤١)

٢- وهو يومٌ لا ينفع فيه ولي ولا قريب صاحبه، ولا يتعاونون بينهم ليدفعوا عن أنفسهم الضر الذي نزل بهم؛ بل كما قال تعالى: (ولايسألحميمحميمًا. يبصرونهم)؛ أي: لايسألأخًالهعنحاله،وهويراهأمامه عيانًا.

إِلَّامَنْرَحِمَاللَّهُإِنَّهُهُوَالْعَزِيزُالرَّحِيمُ (٤٢)

إلا من استثنى سبحانه؛ من القريب المؤمن الذي يشفع لقريبه أو صاحبه بعد رحمة الله له ورضاه عنه، وهو سبحانه العزيز المنيع الذي لا يغلب، ولا يُنصر من أراد عذابه، وهو مع عزته سبحانه الرحيم الذيلاتمنعزتهأنيُكرم ويرحم .

ثم يعرض القرآن مشهدًا من مشاهد يوم الفصل؛ ليصور صورة من صور عذاب المعرضين يوم القيامة :

إِنَّشَجَرَتَالزَّقُّومِ (٤٣)

إنها شجرة الزقوم:

١- شكلها مفزع؛ طلعها كأنه رؤوس الشياطين .

٢- منبتها فضيع: تنبت من وسط نار الجحيم .

٣- اسمها مخيف: سماها الله في القرآن الشجرة الملعونة .

طَعَامُالْأَثِيمِ (٤٤)

٤- طعامها: خبيث منتن، لو قطرت قطرة على الأرض لأفسدت على النـــاس معايشهم، فكيف بمن جعلها الله تعالى طعامهم؛ من الفجار الذين ارتكبوا الآثام؛ قولاً وفعلاً .

كَالْمُهْلِيَغْلِيفِيالْبُطُونِ (٤٥)

٥- حرارتها: كحرارة القطران والحديد الذائب من شدة الحرارة .

٦- وفعلها وتخصصها في العذاب: أن تغلي في بطون المجرمين .

كَغَلْيِالْحَمِيمِ (٤٦)

كغليان الماءالذيتناهىحرهبمايوقدتحته .

وما الذي يحمل هذا الأثيم على أكل هذا الطعام، ومقاربة مكانه ؟ إنه مقهور مدفوع مرغم على أكله:

خُذُوهُفَاعْتِلُوهُإِلَىسَوَاءِالْجَحِيمِ (٤٧)

١- تأخذه ملائكة العذاب، وتسلسله بالسلاسل .

٢- ثم تدفعه دفعًا عنيفًا من وراء ظهره، وتسوقه آخذة بمجامع ثوبه عند صدره .

إلى وســـــط النـــــار الـــــذي هـــــو في غايـــــة الاضطراموالتوقد،وهوموضعخروجالشجرة،التيهيطعامه.

ثُمَّصُبُّوافَوْقَرَأْسِهِمِنْعَذَابِالْحَمِيمِ (٤٨)

٣- ثم يضرب به الملك بمطرقة تفتح دماغه، ثم يصب الحميمعلىرأسهفيترلفيبدنه،فيسلتمافيبطنهمنأمعائه،حتىتمرقمنكعبيه .

٤- فتحرق جلده وتشويه، وتكويه؛ ليجتمعلهمحرالظاهربالحميموالباطنبالزقوم.

والسبب أنه كان في الدنيا يكذب رسل الله وكتبه، ويزعم أنه أعز الناس وأكرمهم، فناداه الله تهكمًا به:

ذُقْإِنَّكَأَنْتَالْعَزِيزُالْكَرِيمُ (٤٩)

أيكنت تزعم أنك وحدك دون المؤمنين العزيزالذييَغلبولايُغلب، الكريم الذي جمع شرف الآباء وجود البذل، فذق يا من زعمت أنك عزيزستمتنعمنعذابالله،وأنككريمعلىاللهلايصيبكبعذاب،فاليومتبينلكأنكأنتالذليلالمهانالخسيس .

إِنَّهَذَامَاكُنْتُمْبِهِتَمْتَرُونَ (٥٠)

إن هذا العذاب الذي تقاسونه هو الذي كان يعدكم به رسلكم، فكنتم تشكون وتكذبون به في الدنيا .

ومن مشهد العتل والأخذ، والشيء والكوي، وأكل الزقوم، وشرب الحميم: إلى مشاهد المتقين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، فكم تاقت النفوس لتعرف ما لأضداد هؤلاء من التكريم :

إِنَّالْمُتَّقِينَفِيمَقَامٍأَمِينٍ (٥١)

جزاء الذين خافوا عذاب الله، واتقوا الكفر والمعاصي أن يجعلهم الله في موضع، وصفه الله بصفتين:

١- هو موضع إقامة، لا يريدالحالفيهتحولاًعنه .

٢- وهـــــــو موضـــــــع أمـــــــن، أمنوافيهامنـــــــــالموت،ومن الخروج،ومنكلهموحزنونصب،ومنالشيطانوكيده،ومن سائرالآفاتوالمصائب.

وما وصف هذا المكان ؟ قال تعالى:

فِيجَنَّاتٍوَعُيُونٍ (٥٢)

١- أشجار بديعة متلفة، تحن وتستر من دخل فيها، وهذا في مقابل ما للكفار من عذاب شجرة الزقوم.

٢- وعيون، يفجرونها حيث شاءوا، وهذا في مقابل ما للكفار في النار مـــن عذاب الحميم .

ولما تلذذ الباطن بلذة النظر، ولذة الأكل والشرب ذكر سبحانه نعيم الظاهر:

يَلْبَسُونَمِنْسُنْدُسٍوَإِسْتَبْرَقٍمُتَقَابِلِينَ (٥٣)

وتلذذ الظاهر من جهتين:

أ- فاللباس: ثياب من حرير خالص على نوعين:

١- سندسرقيق؛ لتكون بطانة لباسهم التي تمس أبدانهم ناعمة .

٢- وإستبرق غليظ؛ لتكون ظاهرة لباسهم تحمل من النقوش والتطاريز الشيء البديع، الذي له بريق ولمعان، وقد سمي الإستبرق بذلك لشدةبريقه.

ب- والمجالس: فقد توزعوا على سرر مرفوعة، وأصبح كل منـــهم مقـــابلاً للآخر، ناظرًا إليه، لم يولِ واحدٌ منهم ظهره لصاحبه، ولم يدابره حسًـــا ولا معنى .

فإذا أرادواالنساءحالتالستوربينهم.

ولما كانهذاأمراًيبهر العقل،فلايكاديتصوره،قال تعالىمؤكداًله:

كَذَلِكَ

أيالأمر كماذكرنا، لا مرية فيه .

ولهم مع هذا العطاء كذلك: مجالس مع أزواجهم، وقد وصفهن الله بصفتين:

وَزَوَّجْنَاهُمْبِحُورٍعِينٍ (٥٤)

١- أنها حوراء؛ أي بيضاء، يحار الطرف في حسنها، وينبهر العقل بجمالها؛ (كأنهنالياقوتوالمرجان) .

٢- وعين؛ أي عيناء، حسناء العين الواسعة .

قال بعض السلف:لوأنحوراءبزقتفيبحرلجي،لعذبذلكالماءلعذوبةريقها .

وهي حياة زوجية لا نكد فيها، ولا همّ نفقات، بل:

يَدْعُونَفِيهَابِكُلِّفَاكِهَةٍآمِنِينَ (٥٥)

١- يطلبون من خدامهم كل ما يتمنون من التفكه، لا يفقدون فاكهة لبعد مكان، أو فقد أوان .

٢- وهمآمنونمنامتناعه وانقطاعه، ومن زيادته عن قدر شهوتهم له، ومن مضرته .

بل يأمنون كذلك من أشد ما يخاف منه:

لَايَذُوقُونَفِيهَاالْمَوْتَإِلَّاالْمَوْتَةَالْأُولَىوَوَقَاهُمْعَذَابَالْجَحِيمِ (٥٦)

١- فلا يجدون في الجنة طعمًا للموت، ولا لأسبابه، بعد الموتة الأولى التي وجدوها في الدنيا، فلا يجدون:

أ- موتًا .

ب- ولا هرمًا .

ج- ولا مرضًا .

د- ولا بؤسًا .

ه- ولا نومًا؛ لأن النوم أخو الموت .

و- ولا تبلى حتى ثيابهم .

٢- ولا يجدون عذابًا، بل سلمهم الله تعالى من العذاب الليم في دركات الجحيم، فحصللهمالمطلوب،ونجاهممنالمرهوب؛ برحمته وفضله:

فَضْلًامِنْرَبِّكَذَلِكَهُوَالْفَوْزُالْعَظِيمُ (٥٧)

وهذا النعيم موصوف بأنه:

١- فضل من الله، وأعظِم بفضائل ربنا !.

٢- وهو الفوز والظفر بكل مطلوب على أعظم ما يبلغه، ويتناهى إليه، فوزًا لميدعجهةالشرفإلاملأها.

فَإِنَّمَايَسَّرْنَاهُبِلِسَانِكَلَعَلَّهُمْيَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

وتختم هذه السورة بما بدأت به من ذكر القرآن الكريم، وقد أنزله ربنا سبحانه:

١- سهلًا واضحًا، يفهمه من قرأه وتدبره .

٢- بلغة عربية، هي أفصح اللغات .

٣- وبلسان نبي كريم، هو أفصح الناس لسانًا، وأجلاهم بيانًا، وأحلاهم منطقًا، والعرب ممن تعجبهم الفصاحة .

لأجل أن يتفهموا مافيهنفعهمفيفعلونه، ويتعلموا مافيهضررهمفيتركونه.

ثم عادت السورة تذكر بمقصدها، وهو إنذار قريش بالحال الذي وقع عليهم من الدخان، والماضي الذي حل بالكافرين قبلهم كقوم فرعون وتبع، والمستقبل الذي سيصلونه في عذاب الجحيم، وتبشر المؤمنين بالحال الذي وقع لهم من نصرهم في بدر، والماضي الذي نجى الله فيه المستضعفين من بني إسرائيل، وورثهم ملك فرعون، والمستقبل الذي سيلاقونه من نعيم وجنات، فقال سبحانه:

فَارْتَقِبْإِنَّهُمْمُرْتَقِبُونَ (٥٩)

فانتظر يا محمد في الدنيا النصر يوم بدر، وفي الآخرة الجنة، ولينتظر هؤلاء الكفار – إن استمروا في كفرهم – الهلاك يوم بدر في الدنيا، والنار في الآخرة، وهذا الانتظار والترقب لايزايلهم،بلقدقطعقلوبهم،وملأصدورهم؛ فختمت السورة بوعدله،ووعيدلهم.

آخرتفسيرسورةالدخان،وللهالحمدوالمنة،وبهالتوفيق.



عمل اليوم والليلة (١)

٢



عمل اليوم والليلة (١)

الحمد لله طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشر المعتكفين، هذا هو مجلسنا الأول من مجالسنا في هذا الشهر الفضيل لعام ١٤٢٧هـ،[١] وهو مجلس يتجدد من مجالس المعتكفين، وقد جلسناها في الأعوام الماضية في الكلام حول تهذيب النفوس والحذر من خطوات الشيطان وغيرها، فأما مجالسنا لهذا الشهر إن شاء الله فستكون عن حديث آخر؛ إنها عن فضائل عمل اليوم والليلة .

أعمال اليوم والليلة أعمال لها فائدة كبيرة بالنسبة للسالك إلى الله والسائر إلى مرضاته، فهي دليل من أدلة الاستقامة، فإنك إن رأيت الرجل يتأخر عن الفريضة، ويتأخر عن الصف الأول، ويهجر القرآن، ويترك حظه من الليل؛ علمت ضعف استقامته، وإن رأيته يحافظ على أعمال اليوم والليلة؛ فإن هذا دليل على استقامته على الجادة التي أمر بها .

إن هذه الأعمال ــ أيها الأخوة ــ هي التي تزرع فينا التربية العبادية، فنحن بحاجة إلى تربية عبادية تلزمنا عبادة الله عز وجل، تكسر قلوبنا لأجل الله، وتذل جوارحنا فيها لأجل الله، فالعبادة لها تربية عظيمة، تسمو بها الروح، وترتقي بها النفس، ويسلك العبد مسالك السعادة والراحة .

إن هذه الأعمال التي حثنا عليها رسولنا صلى الله عليه وسلم من عمل اليوم والليلة لها فوائد كثيرة جداً وجداً؛ فمنها ما يرفع الدرجات، ومنها ما يكفر

---

(١) ألقيت هذه الدروس بمسجد الريان اعتكاف عام ١٤٢٧ هـ .

السيئات، ومنها ما يحفظ الإنسان من شر الشيطان، ومنها ما يقيه الضر، ومنها ما يجعله في كفاية الله، ومنها ما لا يمنعه من دخول الجنة بعد أن يأتي به إلا أن يموت . فأكرم بها والله من أعمال ! تدعونا لاكتساب هذه الغنائم الكبيرة .

آخر ما أقوله في هذا المقام : إن مداومتك على أعمال اليوم والليلة هي دليل محبتك لله عز وجل، فمن أحب الله داوم على عبادته وتقرب إليه بطاعته وأحب ما يحب الله عز وجل (وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي بها) أي : أن الله يسدده في هذه كلها، قال : (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) أصبحتَ ولياً لله عز وجل يوم أن داومت على هذه الأعمال الطيبة .

وعمل اليوم والليلة يتنوع، قد تكون في صلاة من صلوات النوافل؛ وهذه الصلاة قد تكون نهارية كصلاة الضحى، وقد تكون ليلية كصلاة قيام الليل، تتنوع أعمال اليوم والليلة بين أذكار وأدعية؛ فمنها ما هو ذكر للصباح، أو ذكر للمساء، أو ذكر للنوم، أو ذكر ودعاء مطلق تدعو الله سبحانه وتعالى وتتوجه إليه، منها ــ أيها الأخوة ــ الصيام والصدقة النافلة، ومنها قراءة القرآن، ومنها العبادات الاجتماعية؛ العبادات الاجتماعية : كبر الوالدين، كصلة الرحم، كعيادة المريض، كاتباع الجنازة، كإجابة الدعوة ونحو هذه من أعمال اليوم والليلة .

إذاً لنبحر مع هذه الأعمال؛ وسنتكلم ــ إن شاء الله ــ أولاً في بيان فضلها؛ لندعو أنفسنا أن نعمل بها فإن الإنسان إذا لاح له بريق الأجر هانت عليه مشقة

التكليف، وكثير من الأعمال قصّرنا فيها لأننا نسينا أجرها، قمنا بها أول ما قمنا ونحن نستحضر فضلها وعظيم أجرها، فلما نسينا الأجر بدأنا نتكاسل فيها، فلنجدد العزم ولنحث السير ولنذكر أنفسنا بهذه الأجور الكبيرة .

ثم سنتكلم ــ إن شاء الله ــ في بعض سننها، فكيف تؤديها كما كان صلى الله عليه وسلم يؤديها، ولعلنا نتطرق ــ إن شاء الله ــ لشيء من الأحكام التي نحتاج إليها .

إذاً هذا هو حديثنا، عمل اليوم والليلة .

وأول ما نبدأ به صلاة الضحى .

المجلس الأول: صلاة الضحى

صلاة الضحى هي الصلاة التي تؤدى في وقت الضحى، فما هو وقتها ؟ وما أفضله ؟وكم تُصلى ؟

ولنبدأ أولاً ــ كما وعدنا ــ ببيان عظيم فضل هذه الصلاة .

اسمعوا ــ أيها الأخوة ــ وقد تكونون مِن مَن يدامون على صلاة الضحى، اسمعوا ماذا جعل الله عز وجل من فضائل لصلاة الضحى هذه.

يقول صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه : " يُصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة " كل مفصل عليك أن تؤدي عنه صدقة كل يوم، وابن آدم كما جاء في بعض الأحاديث ٣٦٠ مفصل؛ إذاً عليك دين قدره

٣٦٠ صدقة يجب عليك أن تؤديها كل يوم فكيف تؤدي هذا الـــدين ؟ ٣٦٠ صدقة جزاء ما أنعم الله عليك وتفضّل، قال : " تسليمه على من لقي صدقة " ؛ سلمت أخذت صدقة وبقيت عليك ٣٥٩ صدقة، " وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة "؛ فإن أمرت بالمعروف عشر مرات هذه عشر صدقات، وإن نهيت عن المنكر عشر مرات فهذه عشر صـــدقات، واحســـب . قـــال: "وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى " رواه أبو داود؛ ركعتان من الضحى تسدد عليك ديناً قدره ٣٦٠ صدقة.

أخي في الله، هل تستطيع كل يوم أن تؤدي هذه الصدقات؟ ألا أدلك على ما يسدد عنك؟ ركعة الضحى التي أخبرك صلى الله عليه وسلم.

كم نحن نود لو أننا أدينا العمرة هذا العام، لكـــن للأســـف صـــعبت علينـــا التأشيرات وزادت علينا التكاليف، وبعضنا تحسّر ورجع مع أنه قد همّ، وبعضنا قد تحسّر لّما رأى من ذهب فغبطه على ذهابه إلى تلك البقـــاع المقدســـة وأداء شعيرة العمرة، لكن اسمعوا ـــ معاشر المتخلفين ـــ عن العمرة في هذا الشـــهر ماذا يقول صلى الله عليه وسلم؟ في حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عند أبي داود يقول صلى الله عليه وسلم : "من خرج من بيته متطهـــراً إلى صـــلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم " هذا إذا خرج إلى الصلاة المكتوبة كـــأجر الحاج المحرم " ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كـــأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين " صلاة الضـــحى إذا خرجت لأدائها فأجرك كأجر المعتمر، وصلاة الفريضة إذا خرجت لأدائها فأجرك كأجر الحاج . طبعاً لا تستطيع أن تزيد في الفريضة؛ هي خمس صلوات

فقط، لكن ممكن تزيد من صلاة الضحى، صلاة إثرها صلاة؛ إثرها صلاة أي دون أن تشتغل باللهو والكلام بينها؛ كتاب في عليين وتُكتب لك كأجر العمرة .

لكن كيف لو أردت أن تجمع بين الحج والعمرة؟ لأن أفضل الحج ـ أيها الأخوة ـ هو حج التمتع، أن تعتمر وتحج في سفرة واحدة، فكيف يُكتب لك في خرجة واحدة عمرة وحجة ؟

اسمع لهذا الحديث العظيم؛ عن عبد الله بن غابر: أن أمامة وعتبة بن عبد رضي الله عنهما حدّثاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى صلاة الصبح في جماعة، ثم ثبت حتى يُسبح لله سَبحة الضحى، كان له كأجر حاج ومعتمر تاماً له حجه وعمرته " رواه الطبراني، وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة .

إذاً إذا خرجت إلى صلاة الصبح وثبتَ في مصلاك تذكر الله عز وجل، وصليت صلاة الضحى بعد ارتفاع الشمس؛ فإنك ترجع بأجر الحاج والمعتمر .

أخي في الله، إنك تزعم كثيراً لو استطعت لذهبت إلى الحج، لذهبت إلى العمرة مهما طالت المسافة، مهما ازدادت المشقة، مهما عظمت النفقة، فلماذا لا توفي بكلامك هذا وتجلس بعد صلاة الفجر حتى تصلي صلاة الضحى فيُكتب لك هذا الأجر كله أجر حاج ومعتمر تاماً له حجه وعمرته ؟!

ومرة من المرات؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً، فإذا بهذا البعث يسرع في الرجوع، ويُعظم في الغنيمة، تعجب أحد الصحابة، فقال: يا رسول الله ما رأينا مثل هذا البعث، أسرع الرجعة وأعظم الغنيمة! يعني ذهبوا ورجعوا بسرعة، وبعض السرايا تأخذ أسابيع وأشهر، وهؤلاء رجعوا بسرعة وأتوا

بغنائم كثيرة . فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذكر هذا الرجل من حال هذه الدنيا؛ دلّه على ما هو خير قال: "ألا أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث؟ رجل توضا في بيته " اسمع ــ أخي في الله ــ لأنها على خطوات : الخطوة الأولى: "رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمل إلى المسجد فصلى فيه الغداة ــ يعني الفجر ــ ثم عقّب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة " ذكره الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة .

إذا الخطوة الأولى : تتوضأ في البيت وتُحسن الوضوء، ثم تأتي المسجد وتصلي صلاة الفجر، ثم تجلس وتصلي صلاة الضحى؛ هذا خير غنيمة وأسرع رجوع .

أيها الأخوة الكرام، إن فضائل صلاة الضحى كثيرة وكثيرة جداً، وما زلنا نحدّث أنفسنا ونشوقها لهذه الأجور؛ فاسمعوا لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، وهو حديث حسّنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، يقول عليه الصلاة والسلام : " من صلى الضحى أربعاً ــ يعني أربع ركعات ــ وقبل الأولى أربعاً بنى الله له بيتاً في الجنة " أو " بُني له بيتٌ في الجنة " الأولى هي صلاة الظهر ــ والله أعلم ــ فإن صليت الضحى أربعاً، وصليت قبل صلاة الظهر أربعاً، يبني الله لك بيتاً في الجنة. ليس هذا فقط، بل أنك لو جعلت الأربع هذه من صلاة الضحى في أول النهار اسمع لحديث يصححه الشيخ مقبل رحمه الله تعالى، يقول عليه الصلاة والسلام : " يا ابن آدم، صل في أول النهار أربعاً أكفك آخره"، الله أكبر تكن في كفاية الله عز وجل، ابدأ نهارك بصلاة أربع ركعات، واجعل الله يكفيك ما بقي بعد ذلك من النهار .

إن من أحاديث فضائل صلاة الضحى حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقد أخرجه الحاكم بسند حسن، يقول عليه الصلاة والسلام : "لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين " إذاً المداومة على هذه الصلاة تجعلك ــ أيها المؤمن ــ من الأوابين، نعم نحن نصلي أحياناً وننسى أحياناً، لكن أين الأوابون؟ فصلاة الأوابين هي صلاة الضحى، والأوابون من هم؟ هم الذين يحافظون على صلاة الضحى.

من يذكر لنا آية وعدها الله سبحانه وتعالى لعبده الأواب، آية في القرآن جعلها الله عز وجل لعباده الأوابين ؟ {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ }ق٣٢، وقال تعالى أيضًا: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً }الإسراء٢٥.

أيها الأخوة الكرام، مع هذه الفضائل المتكاثرة لصلاة الضحى، فقد حافظ عليها الصحابة رضي الله عنهم وداوموا عليها، تخيل الآن لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّثك ويوصيك بصلاة الضحى، هل كنت ستتركها؟ لو أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أوصاك وصية خاصة بصلاة الضحى هل ستفرط فيها؟، انظروا ما قال الذين أوصاهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه في الصحيحين يقول : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : النوم على وتر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى .

أبو ذر رضي الله تعالى عنه عند النسائي يقول : أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة لا أدعهن إن شاء الله تعالى أبداً : أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر

قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه عند أبي داود، يقول : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن لشيء : أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولا أنام إلا على وتر، وبسبحة الضحى في الحضر والسفر .

انظر لهؤلاء الصحابة، وكل واحد يقول : أنا أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر صلاة الضحى؛ أبو هريرة، وأبو ذر، وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم؛ لذلك حافظوا رضي الله عنهم على هذه الصلاة و لم يتركوها، بل تقول عائشة رضي الله تعالى عنها وقد كانت تصلي الضحى ثمان ركعات ثم تقول : لو نُشر لي أبوايَّ ما تركتها، والسبب أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا؛ فقال بعضهم : الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يصلي الضحى، فقالت عائشة: لو أتيتم بأي دليل حتى لو بعث لي أبوايّ ما تركتها؛ لماذا؟ لأنها صلاة كان يصليها ويحث عليها صلى الله عليه وسلم .

معاشر المعتكفين، إن كنا عرفنا شيئاً من فضائل صلاة الضحى، فكم عدد صلاة الضحى؟ وكم تُصلى؟

سمعنا أنها تجزئك عن ٣٦٠ صدقة إذا صليت ركعتين، لكن ممكن تصلي أكثر، سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها : أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت : نعم أربعاً ويزيد ما شاء الله، رواه مسلم؛ فتصلي ركعتين، والأولى أن تصلي أربع ولك أن تزيد، جاء عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ست ركعات، وجاء عن أم هانئ رضي الله عنها حديثاً رواه الجماعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح

مكة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات . إذاً صلى أربعاً ويزيد، وصلى ستاً، وصلى ثمان، فلك أن تصلي ثمان ركعات، ولك أن تزيد، ويكتب الله لك الأجر: "صلاة في إثرها صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين "؛ فصل ثم صل ثم صل وأكثر من الصلاة .

فمتى وقت صلاة الضحى؟

أما الوقت المشروع؛ فهو من بعد ارتفاع الشمس، إذا ارتفعت الشمس أي بعد الشروق بقرابة ربع ساعة إلى قبل الزوال يعني قبل أذان الظهر بعشر دقائق، هذا وقت صلاة الضحى؛ بعد الشروق بربع ساعة، وقبل أذان الظهر بعشر دقائق . صل في هذا الوقت، والأولى أن تصلي في أول الوقت حتى يكفيك الله في آخر النهار، وحتى تكون كأجر الحجة والعمرة، لكن أفضل أوقات صلاة الضحى ما جاء من حديث زيد بن أرقم عند الإمام مسلم أنه رضي الله عنه رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال : لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة الأوابين حين ترمض الفصال " الفصال : هي صغار الإبل، وترمض : أي أنها تجد حر الشمس في أرجلها فتقوم وتترك المكان، فمتى اشتدت حرارة الشمس في أول النهار؛ حتى أن هذه الإبل الصغار الفصال وجدت حرارة الشمس فإن هذا الوقت أفضل وقت لصلاة الضحى، أفضل وقت لصلاة الضحى في أول ما تشتد الشمس، ولها وقت آخر كان يحرص عليه صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله بن شقيق : قلت لعائشة رضي الله عنها : أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت : لا إلا أن يجيء من مغيبه . رواه أبو داود

إذاً إذا جئت من سفر فآكد ما تكون صلاة الضحى، آكد ما تكون، كان يداوم صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى إذا جاء من السفر، لكن في غيرها ما كان يداوم .

أكان يصلي الضحى؟ المقصود : أكان يداوم على الضحى؟ ما كان يداوم عليه الصلاة والسلام، والسبب في هذا : تقول عائشة رضي الله عنها : وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به؛ خشية أن يعمل به الناس فيُفرض عليهم .

فرسولنا عليه الصلاة والسلام خشي أن يداوم على هذه النافلة فتُصبح فريضة .

يسأل الكثير من الأخوة عن صلاة الشروق، هل هي نفس صلاة الضحى؟

الجواب : أن صلاة الشروق في وقت صلاة الضحى، لكن الأولى لك أن تصلي صلاتين، ركعتين تنوي بها صلاة الشروق التي فيها أجر الحج والعمرة، ثم تصلي الضحى؛ كما يُفتي بهذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وإن صليت ركعتين بنية الشروق والضحى فلك الأجر؛ لأننا سمعنا في هذه الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ثم سبح سبحة الضحى " فالضحى تجزئ عن صلاة الشروق، بل لعلها هي نفسها. أخيراً ــ أيها الأخوة ــ إليكم هذه السنة التي أظنها غائبة عن كثير منا، ورحم الله من أحيا السنة؛ ماذا تقول بعد أن تصلي الضحى؟ هل أحد منكم يعرف؟ ، إذن أرجو من الله عز وجل أن يكتب لي أجر إحياء هذه السنة .

اسمعوا ما رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح؛ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى، ثم قال : " اللهم اغفر لي، وتب علي، إنك أنت

التواب الرحيم حتى قالها مائة مرة " إذاً هذا الذكر الذي تقوله بعد صلاة الضحى : الله اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة فاحرص على هذه السنة .

وفقنا الله وإياكم لطاعته، وغفر لنا ذنوبنا، وجزانا بالإحسان إحساناً، وبالسيئات مناً وغفراناً .

فالزم – أخي المعتكف- صلاة الضحى، وإلى درس آخر إن شاء الله، نسأل الله أن يعينا أن نكون ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، إنه سبحانه وتعالى قريب مجيب .

المجلس الثاني: قيام الليل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين، ثم أما بعد :

فها نحن هذه الليلة مع عمل آخر من أعمال اليوم والليلة، عمل عظيم جاءت النصوص الشرعية في بيان فضله وفي الإخبار بعظيم أجر من فعله وحافظ عليه .

أيها الأخوة الكرام، إن كنا في الدرس الماضي قد توقفنا مع صلاة نهارية من صلاة النافلة، وهي صلاة الضحى، فإننا في هذا المجلس سنعرض لصلاة نافلة

ليلية، ألا وهي قيام الليل .

ينبغي للمسلم أن يكون له حظ كل يوم أو كل ليلة من قيام الليل، فلا يضيع نصيبه من هذا الفضل العظيم، ولا يفوته ما في قيام الليل من تربية للنفس وتهذيب .

إذا كانت أول سورة أنزلت على رسولنا صلى الله عليه وسلم، وأول توجيه تلقاه عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل: " اقرأ "، فإن ثاني سورة نزلت عليه هي سورة المزمل { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ{١} قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً{٢} } وهذا دليل على أهمية أن يسلك السائر إلى الله درب المحافظة على قيام الليل.

وقد جاء في فضل قيام الليل نصوص كثيرة، منها ما رواه النسائي رحمه الله تعالى يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل " يعني : إذا كانت الصلاة أفضل عمل، وأفضل شغل؛ فإن أفضل الصلاة هي الفريضة، وأفضل ما بعد الفريضة مما نتقرب إلى الله به ونتنفل هو قيام الليل .

لذلك أوصى به صلى الله عليه وسلم وبين عظيم ما فيه؛ فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي من حديث بلال رضي الله تعالى عنه قال : " عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد " انظر لهذه الخصال العظيمة التي اجتمعت فيمن حافظ على قيام الليل، فما من صالح إلا وله حظ من قيام الليل، فإن أردت أن تكون معهم وتتشبه بهم فاحرص على قيام الليل، ثم هو قربة لله عز وجل، يقول صلى الله عليه وسلم :

" إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك في كل ليلة " رواه الإمام مسلم .

إذاً في الليل ساعة مجابة، الله أعلم متى تكون، لكنك إن كنت فيها قائماً تدعو الله سبحانه وتعالى، فأبشر فإن الله سبحانه وتعالى سيجيبك . كيف لا يكون قيام الليل قربة إلى الله وهو طريق الجنة " يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن سلام رضي الله تعال عنه .

أخي المبارك، إننا نبحث عن صالحات تشفع لنا يوم الدين، فإذا قام الإنسان بين يدي الله عز وجل وقام معه تقصيره وتفريطه ووقوعه في المعاصي والذنوب، وتخلفه عن الفرائض والواجبات، قامت هذه الصالحات فشفعت له عند الله فشفعها الله سبحانه فيه .

اسمعوا ماذا يكون يوم القيامة من هذا المقام؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة " واسمعوا الآن لمحاورة شفاعة القرآن والصيام للعبد : " يقول الصيام : أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه " قال : " فيشفعان " رواه أحمد . يعني يدخل الجنة بفضل شفاعة الصيام والقرآن .

أيها الأخوة الكرام، إن في قيام الليل ــ كما سمعنا ــ مطردة للداء من الجسد؛ فقائم الليل تجده من أصح الناس جسداً، وأقوى الناس بدناً، فإذا كان النهار يحتاج منا إلى عمل طويل وشاق، فإن في الليل وقيامه ما يعطينا هذا النشاط،

هذا ما ذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث أبي هريرة عند ابن ماجه يقول صلى الله عليه وسلم : " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم بالليل بحبل فيه ثلاث عقد " يربطه بحبل ويربط ثلاث عقد على هذا الإنسان " فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة " إذاً أول خطوة لقيام الليل أن تذكر الله، قال : " فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً " أي يصيب الإنسان نشاطًا، ونفسه أيضاً تطيب وترتاح، ويصيب أيضاً من الخير، قال : " وإن لم يفعل أصبح كسلاناً خبيث النفس لم يصب خيراً " .

يا حافظ القرآن، كم تحفظ من كتاب الله ؟ إن على قدر قيامك بالليل بهذا القرآن على قدر ما سيثبت القرآن في صدرك، منا من يحفظ عشرة أجزاء، أو خمسة عشر جزءاً، لكنه ما يقوم في الليل، فحقيقة هذا الرجل أنه سينساها، من أراد أن يقوى له حفظه فليراجعه بين يدي الله عز وجل، وليقرأه بين يدي الله عز وجل بالليل، هذه وصية رسولكم صلى الله عليه وسلم، يقول عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن عمر في البخاري ومسلم : " إنما مثل صاحب القرآن كمثل إبل معقّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت " زاد مسلم في رواية : " وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه " فإذا كان صاحب القرآن يقرأ في نافلة الظهر، وفي فريضة الظهر، وفي صلاة العصر، وفي المغرب، وفي العشاء، وفي الليل يتعاهد القرآن، فإنه سيذكره وإلا سينساه، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة .

أما عن تكفير السيئات، فما أعظم قيام الليل في تكفير السيئات! وخصوصاً

إذا كان من رمضان؛ في الصحيحين من حديث أبي هريرة : " من قام رمضان إيمانً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه " وفي البخاري من حديث أبي هريرة : " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ". إذاً مغفرة الذنوب مرتبطة كثيراً بقيام الليل، فلا يفوتك مثل هذا الأجر العظيم .

أيها الأخ الكريم، إن العز الحقيقي هو عزك في طاعة الله عز وجل . إن شرفك هو قيامك بين يدي الله سبحانه، هذا هو الشرف .

إذا أحبك الله عز وجل أقامك بين يديه، فمن وفّقه الله للقيام بين يديه بالليل هذا دليل أن الله يحبه وأن الله قبل عمله؛ قيل للحسن البصري : يا أبا سعيد، إنني أتهيأ لقيام الليل، وأعد سواكي وطهوري، لكني لا أقوم! فقال : ذنوبك قيدتك .

هذا دليل لك أو عليك : هل أحسنت بالنهار أو أسأت؛ يقول بعض السلف : من أحسن بالنهار أقامه الله بالليل بين يديه، ومن أساء بالنهار لم يقمه الله بالليل بين يديه .

هكذا فلننظر في أنفسنا ولنفتش فيها . إن قيام الليل شرف وتشريف يشرف الله به العبد إذا أحبه، يقول صلى الله عليه وسلم كما في الطبراني بسند حسن من حديث سهل بن سعد ؛ ولنحفظ هذا الحديث لأنه جميل، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس، رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . شرف أن يجعلك الله تقوم تنتصب

بين يديه سبحانه وتعالى؛ لذلك يفتح الله على القائمين والمتهجدين بالأسحار يفتح عليهم من ألطافه وما يجدون من برد اليقين ولذة المناجاة وأنس القرب من الله عز وجل، بل ويلبسهم الله من نوره؛ لأنه شرفهم سبحانه وتعالى بهذه العبادة، قيل للحسن رحمه الله : ما بال المتهجدين بالليل هم أحسن الناس وجوهاً ! فقال رحمه الله تعالى : لما خلو بمناجاة الله ألبسهم الله نوراً من نوره ، الله أكبر . ما أجمل هذا الكلام أيها الأخوة ! وما أجمل وأروع لو أننا كنا من أهله .

كيف لا يكون قيام الليل بهذه المنزلة وربنا سبحانه وتعالى يترل إلى عباده يدعوهم ويناديهم ! فيكون هؤلاء هم الفائزون بمناجاة الله عز وجل وبالقرب منه، أقرب ما يكون الرب من عبده في ثلث الليل الآخر؛ جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وسلم : " يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر " إذا بدأ ثلث الليل الآخر ــ وهو تقريباً آخر أربع ساعات من الليل قبل الفجر ــ ما الذي يحدث ؟ يترل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ثم يخاطب عباده سبحانه وتعالى بهذا الدعاء فيقول: (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) أين أنت في هذه الساعة ؟ لو أنه يحضر رجل من الناس لكنه معظم أو مكرم استقبلناه قبل أن يحضر بساعات، والله سبحانه وتعالى أكبر وأكرم وأعظم وأجل، يترل كل ليلة في ثلث الليل الأخير ويدعو عباده ؛ فأين أنت أخي في الله ؟ أين أنت ؟ ألا تريد أن تكون كمثل هذا الرجل؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " عجب ربنا تعالى من رجلين : رجل سار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته " ترك الزوجة، وترك الفراش والنوم وقام، ماذا يحب؟ ماذا يريد؟ لماذا ترك هذه المحبوبات؟ قال : "وحبه إلى صلاته فيقول جل وعلا : انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي " هذا هو الرجل الأول؛ والثاني : قال : "ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى يُهريق دمه، فيقول الله : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يُهريق دمه " رواه أحمد وأبو يعلى .

فهل نحن من هؤلاء؟ هل استطعت أن تقاوم ما تحب من فراشك ومن زوجك وتقبل إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ربك ؟ عندها سيعجب الله منك ومن فعلك، وسيباهي الله بك الملائكة . فكن كن أخي أنت هذا الرجل !!.

أيها الكرام، إذا كانت السنة ذكرت القائمين، فإن كتاب الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليهم ثناء عطراً؛ ما أجمل أن أكون أنا وإياك من أهل هذه الآية من عباد الرحمن {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً }الفرقان٦٤ يراوحون الليل، ما بين قيام وسجود وسجود وقيام، يقومون فينصبون أقدامهم لله، ويسجدون فيفترشون وجوههم لله، هؤلاء يقول الله عنهم {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ }جنوبهم ما تريد المضجع بل تجفو وتبعد عن المضجع { يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {١٦} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } السجدة ١٦ ــ ١٧ ما أجمل هذا الثواب لمن عمل

هذا العمل ! فكن أنت، كنت أنت، لا تضيّع في أي ليلة حظك من قيام الليل، واحرص عليه؛ فإنه من عمل اليوم والليلة الذي ينبغي لكل أحد منا أن يأخذ نصيبه منه ومن مناجاة الله ودعائه، كن أنت من أهل هذه الآية {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }الزمر٩.

أخي في الله، إنها الجنة، الجنة غالية، الجنة لا نأخذها بالنوم، مغفرة الله سبحانه وتعالى تحتاج منا إلى قيام :

من يرد ملك الجنان *** فليدع عنه التواني

وليقم في ظلمة الليل *** إلى نور القرآنِ

وليصل صوماً بصوم ***إن هذا العيش فاني

إنما العيش جوار الله *** في دار الأماني

احرص أن تكون من أهل ومن خطاب الحور العين، فإن الحور العين مهرهن قيامك بالليل، فتلذذ بهذه العبادة لله عز وجل، وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الطاعات .

أما الذي لا يقوم الليل فذاك رجل بال الشيطان في أذنه كما أخبر صلى الله عليه وسلم، بل قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي في السنن الكبرى

من حديث أبي هريرة : " إن الله يبغض كل جعظريجواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة " هل تريد أن تكون مثل هذا ؟ نشيط في النهار كالحمار، يعمل ويكد، ويجمع ويسعى ويحرص، فإذا جاء الليل فهو جيفة ــ والعياذ بالله ــ نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة .

هكذا حال بعض الناس، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " عجبت من اثنتين : جدة وعمرها واحد وعشرين سنة " كيف هذه ؟ هذه تزوجت وعمرها كم ؟ ثمان سنوات، طيب، أنجبت وعمرها تسع سنوات، ممكن، ولدت بنتًا، البنت هذه تزوجت وعمرها تسع سنوات أيضاً، ثم ولدت بنتًا، هذه عجيبة، يعني جدة عمرها عشرين سنة، شيء عجيب ! قال : " وشيخ كبير يطوف المدينة على رجليه، يضرب خلف القينات، ويراقصهن، فإذا جاءت الصلاة الفريضة، صلى قاعداً، نسأل الله السلامة . انظر! سبحان الله، عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته، ونحن ــ أيها الأخوة والله ــ نسأل الله، كم أضعنا من جهود، لكن خلف هذه الفانية، وكم غفلنا عن تعمير الآخرة الباقية .

فاجتهد أن تكون من الصالحين . " يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم لي الليل فترك قيام الليل " متفق عليه، هذه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو، لا تترك قيام الليل، تقول عائشة رضي الله تعالى عنها : كان صلى الله عليه وسلم لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً . لا تترك قيام الليل، ولو تصلي قاعداً، ولو تصلي على جنب، لا تترك قيام



الليل، كان صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل، صلى بالنهار ثنتي عشرة ركعة، يعني يشفع الوتر، إذا كنت تصلي بالليل إحدى عشر ركعة، فنمت لا تضيعها؛ لأنك تتعود بعد ذلك على إضاعتها، لا اقضها بالنهار وزدها ركعة، مثلاً : إنسان يصلي بالليل سبع ركعات، فليقضها بالنهار ثمان ركعات، إنسان يصلي بالليل تسع ركعات، فليقضها بالنهار عشر ركعات، وإن كان يصلي كرسولنا صلى الله عليه وسلم إحدى عشر ركعة، فليقضها بالنهار ثنتي عشرة ركعة . لا تسمح لنفسك أن تقول : خلاص أنا نمت، والله يكتب لي ما عملت صحيحًا مقيمًا، هكذا ستعود نفسك على الكسل، وستبدأ تترك قيام الليل، لا صلِ الثلاث، فإن فاتتك، فصلها أربع، وهكذا استمر .. ثم زدها شيئاً فشيئاً حتى تحيي ليلك بطاعة الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام، ماذا نصلي بالليل ؟ وكيف نصلي ؟ وكيف نضاعف أجورنا إذا قمنا لنصلي بالليل ؟

اعلم أولاً، أن خير صلاة الليل طول القنوت، أي : طول القيام فكلما أطلت القيام كان أفضل من أن تطيل السجود والركوع؛ لأنه قيام ليل، فاحرص على أن تطيل القيام، واسمع ما لك : جاء في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود وابن حبان لسند صحيح : " من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين " عشر آيات، يعني : لو قرأت سورة " قل أعوذ برب الفلق " وسورة " قل أعوذ برب الناس" كم صارت؟ أحد عشر آية، فأصبحت لست من الغافلين، قال : " من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين " الله أكبر ! " ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين " اسأل نفسك كل صباح

: أمس كُتبت مع مَن ؟ مع المقنطرين ؟ كل صباح اسأل نفسك، عساك أن تموت وأنت من المقنطرين، أعظم والله بهذا الأجر ! هل كُتبت من المقنطرين ؟ أو كُتبت من القانتين ؟ أو لم تُكتب من الغافلين ؟ والأخيرة مصيبة، الأخيرة أنك تكتب من الغافلين، نسأل الله السلامة، ما تقوم حتى بعشر آيات ! ألف آية وتكتب من المقنطرين، ألف هل هي طويلة، كثيرة ؟، ما هي كثيرة على الذين يريدون الآخرة {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ }البقرة٤٥، الذي يريد الآخرة ليست كبيرة عليه، ألف آية حسبها بعض إخواننا، يعني على أخصر شيء، كم يكون؟ أظنه قال: تقرأ جزء عم وسورتي الواقعة والرحمن، تحسبونها أنتم إن شاء الله، أو لو قرأ معها سورة الصافات؛ لأن الصافات ــ ما شاء الله ــ سبع صفحات، لكن بكم ؟ بمائتي آية ؟

كيف تضاعف لك الأجر أيضاً ؟ قم مع الإمام، يقول صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة" رواه الأربعة، فإذا صليت مع الإمام إلى أن ينصرف الإمام تكتب لك قيام ليلة كاملة، وهذا من فضل الله عز وجل.

أدلك على طريقة تضاعف لك الأجر، طريقة سهلة، لكنها للمتزوجين فقط، بشرط أن تكون متزوجاً امرأة طيبة يعني تعينك على الخير، ما هي هذه الطريقة ؟ هذه دلنا عليها صلى الله عليه وسلم، يقول صلى الله عليه وسلم : " من استيقظ من الليل، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات " ممكن تُكتب من الذاكرين الله كثيراً، يعني : إذا كنت رأيت

أن تكتب من المقنطرين صعبة، فتريد تكتب من الذاكرين الله كثيراً أيقظ زوجتك وانضح في وجهها الماء حتى تستيقظ، وحاول ولو ضاع عليك شيء من الوقت أن توقظها، وصل معها ركعتين .

قيام الليل متى، أيها الأخوة ؟

من بعد صلاة العشاء، فكل وقت بعد صلاة العشاء يعد من قيام الليل، أي ركعات تركعها بعد صلاة العشاء، فهي مكتوبة لك إن شاء الله من قيام الليل . فمن يخشى أنه لا يقوم آخر الليل؛ فليقم بعد صلاة العشاء، يصلي ما شاء الله سبحانه وتعالى له، فإن قام آخر الليل وإلا فالحمد لله قد قام أوله، ولا شك أن القيام آخر الليل أفضل .

أفضل قيام هو قيام نبي الله داود . كيف كان يقوم نبي الله داود؟ يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو ــ وعبد الله بن عمرو يروي أحاديث القيام كثيراً لأنه كان من المتهجدين ــ : " أحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ــ هذا أفضل صيام النافلة ــ ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ــ يعني النافلة ــ ؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه " تعالوا نشرح الحديث هذا أو نحاول فهمه بحسب الساعات التي عندنا الآن؛ كان ينام نصف الليل : الآن المغرب يؤذن الساعة كم ؟ الخامسة والنصف، الفجر يؤذن الساعة كم ؟ الرابعة والثلث، طيب : من الخامسة والنصف إلى الرابعة والثلث كم ؟ إحدى عشر ساعة، طيب : نصف الليل كم ؟ خمس ساعات ونصف، من الخامسة والنصف ضع فوقها خمس ساعات ونصف صارت الساعة الحادية عشر، الساعة الحادية

عشر نصف الليل، فتنام نصف الليل خمس ساعات ونصف، كثير أو قليل ؟ كثير، طيب : تنام خمس ساعات ونصف، ثم تقوم ثلث الليل، ثلث الإحدى عشر ساعة تقريباً أربع ساعات إلا قليل، فتقوم تقريباً أربع ساعات أو ثلاث ساعات ونصف، من الحادية عشرة إلى الثانية والنصف، هذا قيام داود، ثم تنام، ستبقى تقريباً ساعة ونصف أو ساعتين ــ سدس الليل ــ هذا أفضل القيام، وهو يختلف بحسب الصيف والنهار، تقريباً من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الثالثة أو الثانية والنصف هذا أفضل قيام، يعني : قرابة الثلاث ساعات ونصف .

أخيراً، من سنن قيام الليل : إذا قمت من الليل فامسح النوم عن وجهك، ثم تسوّك، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان سواكه في فراش نومه، إذاً هذه سنة غائبة رحم الله من أحياها اجعل لك سواك في فراش النوم، ضع لك سواكًا في فراش النوم يطوى مع فراش النوم، هذه سنة نعم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص عليها، فأول ما تقوم امسح النوم عن وجهك، ثم استك، ثم اذهب وانظر إلى السماء انظر إلى النجوم واقرأ الآيات في آخر آل عمران {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. } اقرأها بتفكر، ثم بعد ذلك توضأ وأحسن الوضوء، واستفتح قيام الليل . قيل لعائشة رضي الله عنها : بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " هذا دعاء افتتاح قيام الليل . يا ليت لو إنسان يكتبه

ويوزعه أو يعلقه حتى يحفظه بقية الأخوة، وكان لرسولنا صلى الله عليه وسلم دعاء آخر يستفتح به قيامك الليل، سألت عائشة رضي الله عنها : ماذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفتتح به قيام الليل ؟ قالت : " لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، كان يكبر عشراً، ويحمد عشراً، ويسبح عشراً، ويستغفر عشراً " هذه أظنها تُحفظ بسرعة : تكبر عشر مرات، تسبح عشر مرات، تحمد عشر مرات، تستغفر عشر مرات، هذه بعد تكبيرة الإحرام " ويقول: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة، بعد هذا كان صلى الله عليه وسلم يفتتح الليل بركعتين خفيفتين، فتصلي في البداية ركعتين خفيفتين، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه " هذا قد يحدث، فإذا نعست فارقد ثم قم وأكمل الصلاة، وكان من هديه عليه الصلاة والسلام أنه يوقظ أهله فيقول : " من يوقظ صواحب الحجرات ؟ " ودخل على علي وفاطمة فقال : " ألا تصليان ؟ "، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : " اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً " . إذاً هذا هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في قيام الليل.

أما كم كان يقوم ؟ فما زاد صلى الله عليه وسلم عن أحد عشر ركعة، لكن رخّص لذلك الرجل فقال له : " صلاة الليل مثنى مثنى، فإن خشي أحدكم الصبح فليصلِ واحدة " إذاً حاول أن تشغل أكثر الوقت بالصلاة، الأفضل إحدى عشر ركعة وتطيلها إلى آخر الليل، فإن عجزت فاشغل الليل بالصلاة قدر ما تستطيع، كان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين ركعتينركعتين ويوتر

بواحدة.

ومن فعله صلى الله عليه وسلم أنه أوتر بخمس، دون أن يتشهد تشهد أوسط .

ومن فعله صلى الله عليه وسلم أنه أوتر بسبع، وتشهد تشهد أوسط في السادسة، في السادسة جلس فتشهد تشهد أوسط، ثم قام، والسابعة تشهد تشهد أخير وسلم .

وأوتر بتسع تشهد تشهد أوسط في الثامنة، وسلم في التاسعة .

إذاً ممكن توتر بواحدة، ممكن بخمس بدون تشهد أوسط، ممكن بسبع والتشهد الأوسط في السادسة، وممكن بتسع والتشهد الأوسط في الثامنة . فاحرص على إحياء هذه السنة .

وفّقنا الله وإياكم للخير، وجعلنا وإياكم من المتهجدين القائمين لله سبحانه وتعالى بالليل، والله تعالى ربي أعلى وأعلم .

المجلس الثالث: السنن الرواتب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تسليماً مزيدا كثيراً إلى يوم الدين، ثم أما بعد :

فما زال درسنا موصولاً عن الحديث في عمل اليوم والليلة، وما زلنا أيضاً مع الصلوات النافلة التي شرعت في اليوم أو في الليلة .

كنا مع صلاة الضحى وهي نافلة نهارية، ثم انتقلنا إلى قيام الليل وهي نافلة ليلية.

ودرسنا هذا عن نوافل بعضها نهاري وبعضها ليلي، وهي نوافل مؤكدة عن رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقد ارتبطت هذه النوافل بصلوات الفريضة .

حديثنا ــ أيها الأخوة ــ في هذا الدرس عن السنن الرواتب .

والسنن الرواتب اثنتى عشرة ركعة يصليها المسلم في اليوم والليلة، وهي مرتبطة بصلاة الفريضة، إما أن تكون قبلية وإما أن تكون بعدية .

وقد جاء تعدادها في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما في البخاري ومسلم قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عشر ركعات ــ يعني هذه التي كان يحافظ عليها صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالصلاة الفريضة ــ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة في بيته، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته . ثم قال : وحدّثتني حفصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يركع ركعتين قبل الفجر في بيته، وكانت ساعة لا أدخل عليه فيها .

فهذه عشر ركعات، وبإضافة ما جاء في البخاري من حديث عائشة رضي الله

عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً قبل الظهـــر . فتكون بهذا ثنتي عشرة ركعة : ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء . اثنتى عشرة ركعة ما حكمها ؟ حكمها أنها سنة مؤكدة داوم وحافظ عليها صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فالسنن على أقسام : هناك النفل المطلق، فيجوز لك أن تصلي في غير وقت نهي أي صلاة من النافلة، وتكثر، وهناك سنة فعلها أو حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأربع قبل العصر حث عليها صلى الله عليه وسلم، وهناك سنن مؤكدة حث عليها وداوم عليها صلى الله عليه وســـلم؛ أي أنـــه حافظ عليها فهذه سنن مؤكدة، نعم الذي يتركها لا يؤثم لكنه يلام، كيـــف تركت سنة حافظ عليها صلى الله عليه وسلم ؟ .

وحكمة هذه النوافل القبلية والبعدية فيما ذكر أهل العلم رحمهـــم الله تعـــالى حكمة عظيمة جداً تجعل المسلم يحافظ عليها ولا يتركها، قالوا : الحكمة مـــن النافلة القبلية : الاستعداد للصلاة : معروف أيها الأخوة أن الإنسان إذا جـــاء متأخراً إلى الصلاة، وشرع مباشرة بالفريضة، فإن قلبه ما يأتي معـــه إلا بعـــد حين، وبعضهم للأسف ما يأتي قلبه معه إلا إذا سلّم من الفريضـــة بـــدأ الآن يركز، ماذا حضر قلبك فيه ؟ قال : في السلام، ثم يقوم بعد ذلك ويصلي السنة أفضل من صلاته الفريضة، وهذا ـــ للأسف خطأ عظيم ـــ فجعل الفريضة هي التي تهيأ للسنة، وهذا من الخطأ،ـــ ولذلك تجد بعض الناس ـــ للأسف ـــ ما يخشع في صلاة العشاء كما يخشع في صلاة التراويح، مع أن صلاة العشاء أفضل من كل صلاة التراويح، وهذا أيضاً من الخطأ . فجاءت هذه الســـنن القبليـــة

كالقربان والعربون أمام الفريضة فتقدم السنة القبلية شيئاً فشيئاً تتهيأ نفسك حتى إذا جئت لصلاة الفريضة تكون قد حضر قبلك، وهذا سبب عظيم من أسباب الخشوع، إذا كنت تشكو من قلة الخشوع فعليك بهذا بكّر للصلاة حتى يتفرّغ القلب، ثم صل السنة القبلية، حتى يتهيأ القلب، ثم اقرأ شيئاً من القرآن، ثم ادعو بين الأذان والإقامة، فما تقوم للصلاة إلا وقد تهيأت للصلاة وللقرآن وللدعاء .

أما حكمة السنة البعدية فيما ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى؛ فهي أنها تجبر النقص الذي يحدث في الفريضة، فالإنسان سبحان الله مهما كان يعرض لفريضته النقص لذلك هو يستغفر بمجرد السلام، فجاءت هذه السنن البعدية؛ لكي تجبر النقص الذي كان في الفريضة. فإذا صلى الإنسان صلاة ناقصة، قيل : هل لفلان من تطوع فيجبر نقص الصلاة الذي عنده ؟ وبهذا نعرف أن النوافل جاءت كالسياج قبل وبعد الفرائض، حتى تهيئ لإكمالها ثم تسدد نقصها، وكل هذا يجعلك ــ أخي في الله ــ تحرص على ألا تضيع هذه السنن الرواتب؛ فضلاً إن عرفت أنها من هدي رسولك صلى الله عليه وسلم وهذا أعظم، فإن رسولك عليه الصلاة والسلام كان يحافظ عليها وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنت أولى؛ فضّلاً إن حدّثتك بحديث أم حبيبة رضي الله تعالى عنها، وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم، قالت أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها : قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة " أو قالت : "إلا بُني له بيت في الجنة " رواه مسلم .

إذاً بمحافظتك على هذه الصلوات ثنتي عشرة ركعة كل يوم وليلة يبني الله سبحانه وتعالى لك بيتاً في الجنة، فهنيئاً لك سكن هذا البيت وما فيه من النعيم، وإذا بُني لك بيت في الجنة أصبحت من أهل الجنة، وأقمت في الجنة، وتنعمت في الجنة، وكم الجنة عظيمة ـ أيها الأخوة ـ ؟! وكم هذه الصلوات هينة ويسيرة على من أراد الجنة ؟ فلنحافظ عليها .تقول أم حبيبة رضي الله تعالى عنها : فما تركتها منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الذي يروي عنها : فما تركتها منذ سمعتها من أم حبيبة رضي الله عنها، يقول الراوي الذي بعده وبعده كل راوي يقول : منذ سمعتها ما تركتها. المشكلة نحن نسمع كثيراً، لكننا نترك كثيراً . من مرة واحدة يسمعون الحديث ـ سبحان الله ـ هذا بيت في الجنة، والجنة بيوتها ليست كبيوت الدنيا؛ لبنة من فضة، ولبن من ذهب . لو معك لبنة واحدة من ذهب طرت في الدنيا فوق أهلها، فكيف إذا كان معك بيت أو قصر، لبنة من فضة ولبنة من ذهب ؟! والله ما أروع هذا ـ أيها الأخوة ـ ! هل تخيلت بيتاً لبنة من فضة ولبنة من ذهب ؟ شيء عظيم، عظيم جداً، أتحدى أغنى غني في الدنيا يكون له بيت لبنة من فضة ولبنة من ذهب، هذا لكل من حافظ على ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة .

أخي في الله، بيوت الجنة تجري من تحتها الأنهار، كيف ؟ لا تقل كيف ؟ لأنه لا يعلم هذا إلا الله سبحانه وتعالى، قصر مبني وتجري من تحته الأنهار، سبحان الله، الآن نحن بيوتنا في الدنيا تجري من تحتها المجاري ـ نسأل الله السلامة ـ هات أغنى واحد عنده قصر إيش يجري تحت بيوته ؟ مصارف المجاري ـ نسأل

الله سبحانه وتعالى السلامة ـــ أما الجنة فشيء آخر ، فلنحافظ بارك الله فيكم على هذه الصلوات ولا نضيعها، فإن الله سبحانه وتعالى قد وعدنا وعداً عظيماً {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً } .

ولنبدأ الآن نتعرف على شيء من أحكام هذه النوافل حتى نؤديها على وجهها فنكون من أهلها :

فأما الفجر : فالراتبة قبلها ركعتين، وليست هناك راتبة بعد الفجر، بل هو وقت نهي إلى أن تطلع الشمس وترتفع، إنما تصلي قبل الفجر ركعتين، وركعتا الفجر أفضل الرواتب؛ حتى اختلف بعض أهل العلم ما الأفضل : ركعتا الفجر أو الوتر وقيام الليل ؟

وركعتا الفجر أفضل الرواتب يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها "رواه مسلم .

إذا كانت الركعتان قبل الفجر خيرًا من الدنيا، فصلاة الفجر أعظم وأكرم . فداوم على هاتين الركعتين كما كان صلى الله عليه وسلم يداوم عليها . تقول عائشة رضي الله تعالى عنها في الصحيحين : لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر . أكثر شيء كان يداوم عليه لم يتركها صلى الله عليه وسلم، لا في حضر ولا في سفر .

انتبه أخي في الله، فلعلك لم تقف على هذا الحكم .

المسافر يُشرع له أن يترك النوافل؛ راتبة الظهر القبلة والبعدية، وراتبة المغرب والعشاء، ويصلي بقية السنن؛ يصلي الضحى، يصلي قيام الليل، بعضهم يقول : ما في سنة في السفر، هذا خطأ، المراد ما في راتبة في السفر، فلا تصلي راتبة

الظهر، ولا راتبة المغرب، ولا راتبة العشاء ؛ إلا راتبة الفجر فإنك تصليها وتحافظ عليها كما كان صلى الله عليه وسلم .

السنة في راتبة الفجر أن تصليها ركعتين خفيفتين، يعني : مع عظيم الأجر ومع ذلك يعظم الأجر في اتباع السنة، ليس معنى أن أجرها عظيم أنك تطيل فيها ما شئت، بل كان صلى الله عليه وسلم على حبه لهذه الصلاة كان يخففهما، تقول عائشة : ما أدري أقرأ بفاتحة الكتاب أم لا؟ يعني : صلاة خفيفة جداً .

والسنة في راتبة الفجر : أن تقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون)، وفي الركعة الثانية (قل هو الله أحد) سورتي الإخلاص، فتبدأ يومك بالتوحيد، وأحياناً كان صلى الله عليه وسلم يقرأ الآية ١٣٦ من سورة البقرة {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } وفي الركعة الثانية يقرأ بآية آل عمران {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }آل عمران٦٤ ، وهذه والتي قبلها أيضاً فيها دليل على التوحيد ونفي الشرك، فاحرص على هذا، تارة تقرأ سورة الكافرون و (قل هو الله أحد)، وتارة تقرأ آية البقرة وآية عمران، هذه آية واحدة في الركعة الأولى وآية في الركعة الثانية، فاحرص على هذه السنة .

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد أن يصلي ركعتي الفجر يضطجع على شقه الأيمن، كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة، وهذه سنة غائبة، بعد أن يصلي الفجر يضطجع على شقه الأيمن، لكن هذا لمن صلاها في

البيت كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل وهو الأفضل، أما أن تضطجع في المسجد فهذا خطأ لا شك، فتضطجع على شقك الأيمن بعد أن تصلي النافلة الراتبة في البيت، بعض أهل العلم قال: إذا كان قد قام من الليل وتعب فيضطجع لأجل أن يتنشط للفجر، وبعضهم قال : لا، مطلقاً متى ما صلى ولو لم يقم من الليل، ولو كان قد نام، ولو قام أول الليل؛ فإنه بعد أن يصلي راتبة الفجر يضطجع على شقه الأيمن، بل بعض أهل العلم قال : من لم يضطجع على شقه الأيمن بعد ركعتي الفجر فإن صلاة الفجر باطلة، يا ألله ! جعلوا الاضطجاع هذا شرط صحة لصلاة الفجر . ما العلاقة بين الاضطجاع وصلاة الفجر ؟ ليس هناك علاقة . لماذا تبطل ؟ لا هذا الكلام ليس بصحيح أبداً، لكن الصحيح أنها سنة، فحافظ عليها إلا إذا كنت من النوع الذي لو اضطجع ما قام إلا بعد صلاة الفجر؛ لأن بعض الإخوة يكون متعباً جداً وإذا وضع رأسه إيش يرفعه ؟ ما يرفعه شيء، فإن كنت ترى نفسك أنك إذا اضطجعت فتترك الفريضة فاترك هذه السنة أحسن، اترك سنة الاضطجاع . هذا بعض ما يتعلق براتبة الفجر .

وأما راتبة الظهر؛ فإنها أربع قبل الظهر كما جاء في حديث عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدع قبل الظهر أربعاً؛ أربع قبل الظهر، يصلي ركعتين، ثم يسلم، ثم يصلي ركعتين، ويجوز له أحياناً أن يصلي أربعاً متصلة يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " أربع قبل الظهر ليس بينهن تسليم كتاب في عليين " فأحياناً طبق هذه السنة، وصلها أربعاً قبل الظهر لكن متصلة بدون سلام وبدون تشهد أوسط، تتشهد في الركعة الرابعة وتسلم .

وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن صلاته قبل الظهر أربعاً ؟ أتدرون ماذا قال ؟ لماذا يصلي صلى الله عليه وسلم قبل الظهر أربعاً ؟ قال عليه الصلاة والسلام كما عند الترمذي : "إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح " سبحان الله هذا الوقت بين أذان وإقامة صلاة الظهر تفتح أبواب السماء .

فكيف تؤديها أنت ؟ كيف تؤدي الأربع قبل الظهر وأنت تعرف أنها الآن ستصعد إلى السماء ؟

أيها الأخوة، إن الإنسان إذا علم أن الامتحان قرب، تجده يجتهد ويحسن ما استطاع في الاستعداد له، تجد الطالب ينام طوال السنة، ويوم الامتحان يبدأ يهتم قليلاً، لكن قبل ما يدخل قاعة الامتحان بخمس دقائق ـــ سبحان الله ! ـــ يترل عليه الحرص فتجده يلتهم الكتاب التهاماً؛ لأنه يعرف الآن ستُفتح القاعة وسيبدأ الامتحان . وأنت ـــ أخي في الله ـــ هذه الساعة فُتحت أبواب السماء وستصعد صلاتك مباشرة، فكيف تؤديها لله رب العالمين ؟ .

وأما بعد الظهر، فالسنة الراتبة ركعتين، إن زاد معها ركعتين فهي سنة لكن ليست راتبة، سنة حث عليها صلى الله عليه وسلم، يقول عليه الصلاة والسلام كما عند أبي داود والترمذي من حديث أم حبيبة رضي الله عنها : " من حافظ على أربع قبل الظهر، وعلى أربع بعدها؛ حرّمه الله عن النار " الأربع القبلية الراتبة، وركعتين بعدية راتبة وزد ركعتين نافلة، ويحرمك الله سبحانه وتعالى على النار، فحافظ عليها .

أما صلاة العصر؛ فليس قبلها راتبة، ولكن يُشرع قبلها التنفل وخصوصاً صلاة

أربع ركعات، يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :" رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً " رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . فكونك تصلي قبل العصر أربع ركعات هذه نافلة ليست راتبة ــ كما قلنا ــ هناك نافلة حث عليها صلى الله عليه وسلم، وهناك راتبة داوم عليها صلى الله عليه وسلم. فاحرص عليها حتى تدخل في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لك بالرحمة .

وأما بعد العصر، فهذا وقت كراهة لا يُشرع فيه التنفل حتى تغرب الشمس .

وأما راتبة صلاة المغرب؛ فهي بعدية، بعد صلاة المغرب تركع ركعتين هذه راتبة تداوم عليها، ولك أن تصلي بين أذان المغرب والإقامة ركعتين نافلة لكنها ليست راتبة؛ لحديث عبد الله بن مغفّل رضي الله تعالى عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " بين كل أذانين صلاة ــ يعني بين الأذان والإقامة ــ بين كل أذانين صلاة، ثم قال في الثالثة : لمن شاء " فهي ليست على جهة المداومة، ولكن على جهة استحباب التنفل، فصل قبل المغرب ركعتين، وداوم على ركعتين بعد المغرب، فماذا تقرأ فيهما ؟ ورد عن رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه كان يقرأ في راتبة المغرب بسورة (قل يا أيها الكافرون) وسورة (قل هو الله أحد) سورتي الإخلاص؛ (قل يا أيها الكافرون) سورة الإخلاص العملي، و (قل هو الله أحد) سورة الإخلاص أو التوحيد العلمي .

انظروا لهذا الاجتماع من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم نستفتح النهار بركعتي الفجر، وفيها تقرأ بسورتي التوحيد الكافرون والإخلاص، وتختم النهار وتستفتح الليل وتقرأ بسورة الكافرون والإخلاص، وتختم الليل وتستفتح النهار

في الوتر تقرأ بسورة الإخلاص وقبلها سورة الكافرون فما يبدأ ليلك ولا ينتهي نهارك وما يبدأ نهارك ولا ينتهي ليلك إلا وأنت تفتتح بالإخلاص والكافرون لتثبت وتداوم على معناها من توحيد الله سبحانه وتعالى علماً وعملاً .

وأما صلاة العشاء؛ فإنك تتنفل قبلها بنافلة ركعتين بين الأذان والإقامة، وبعدها راتبة تداوم عليها تصلي بعد العشاء ركعتين وما كان بعد ذاك فهو من قيام الليل الذي سبق لنا بيانه في الدرس الماضي .

وأما صلاة الجمعة، وهل هي الجمْعة أو الجمُعة ؟ الجمُعة هذا هو ضبط القرآن وخير لغة لغة القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }، وأما سنة الجمعة فهي سنة بعدية هذه تداوم عليها كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث ابن عمر الذي مر بنا كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته فداوم على ركعتين في البيت، وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح : " إذا صلى أحدكم الجمعة فليصلِ بعدها أربعاً"، إذاً جاء من فعله ركعتين في البيت، وجاء من قوله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات، فقال بعض أهل العلم : يصلي كم ؟ ست ركعات أربع وركعتين حتى يجمع بين القول والفعل، وقال بعضهم : لا، وإنما إذا صلى في المسجد يصلي أربع، وإذا صلى في البيت يصلي ركعتين وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال بعض أهل العلم : إذا صلى في البيت فله أن يصلي ركعتين وله أن يصلي أربع، وإذا صلى في المسجد فليصلِ أربع، يعني : في البيت ركعتين أو أربع وفي المسجد أربع، وعلى كل فالأمر في هذا واسع المهم أن تحرص وتداوم على هذه السنة البعدية .

وهل هناك تنفل قبل صلاة الجمعة ؟

الجواب : نعم، قد ورد من فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أنهم كانوا يتنفلون تنفلاً مطلقًا، لم يأت فيه المداومة عن رسولنا و لم يأتِ فيه حث عن رسولنا صلى الله عليه وسلم فيكون من النفل المطلق، كانوا رضي الله عنهم هذا هديهم وخير هدي هدي الصحابة كانوا يتنفلون قبل الجمعة حتى يطلع الإمام حتى أنهم كانوا يصلون إلى وقت الزوال، فعلى ذلك : فمن جاء للجمعة فالأفضل أن يتنفل إلى أن يصعد الإمام المنبر هذه السنة الغائبة، وقد ذكروا عن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى وكم كان هؤلاء العلماء الربانيين رحمهم الله تعالى يحيون السنن، ذكروا أنه كان يأتي الجمعة تقريباً الساعة التاسعة فما يزال يركع حتى يقوم الإمام ـــ رحمه الله تعالى ـــ على كبره وعلى كثرة مشاغله رحمه الله تعالى لكن السنة السنة، وهي من هدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهي سنة غائبة رحم الله من أحياها، فاحرص أن تتنفل، فهو وقت تنفل إلى أن يصعد الإمام أو إلى أن تعجز .

وهنا ثمة بعض المسائل التي ننبه عليها :

كيف تستطيع أن تجعل أجر هذه الرواتب أجرًا مضاعفًا؟ نحن نبحث عن الأحاديث التي فيها مشاريع تضاعف لنا التجارة مع الله عز وجل وهذا كله أيها الأخوة اقتداء بالسنة، الاقتداء بالسنة يجعل عملك رابحاً ومضاعفاً، يقول عليه الصلاة والسلام : " أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة"، إذاً صل هذه النافلة في البيت سواء قبلية أو بعدية، صل هذه النافلة في البيت ويكون أجرها مضاعفاً، طيب : كم يعني يتضاعف ؟ لأننا نسمع هذا الأجر كثيرًا لكنا ما ندرك قدره، ولو أدركنا قدره أدركنا كم فاتنا ؟ هذا الحديث قاله صلى الله

عليه وسلم في مسجده ـــ المسجد النبوي ـــ لما أرادوا أن يصلوا في المسجد النبوي تراويح رمضان قال : " أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة " وإذا عرفت أن صلاة النافلة في المسجد النبوي بألف صلاة، فالنافلة في البيت بكم ؟ فكم ذهبت علينا أجور ؟ لا تجعلوا بيوتكم مقابر، الصلاة في البيت أدعى للإخلاص ولطرد الرياء ولإحياء السنن في البيوت ولتعليم الأهل، يكفيك والله يوم تصلي ويأتم بك ابنك أو ابنتك الصغيرة، بعض الناس ما يتنفل في البيت فإذا قام يصلي في البيت يأتي ابنه الصغير ويقول لأمه: بابا يصلي، يستعجب كيف أبوه يصلي ؟ بل يمكن يأتي هذا الولد الصغير ويأخذ ثياب الصلاة حق أمه؛ لأن ما يرى أباه يصلي، هذه تتكرر، فعلى كلٍ هي سنة، وبغض النظر عن كثرة فوائدها يكفينا ما قال فيها صلى الله عليه وسلم " أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة " فاحرص أن تصلي في بيتك .

مما يتعلق أيضاً بهذه الأحكام، أن تبتدر السواري في النافلة، تصلي إلى سارية أو سترة، وقد كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في نافلة المغرب مع أنها ليست راتبة كانوا يبتدرون السواري، فاحرص أن تصليها خلف السواري .

ماذا لو فاتت هذه الرواتب هل تُقضى ؟ الجواب نعم ولو كان وقت كراهة تقضى؛ فقد قضى صلى الله عليه وسلم السنة البعدية للظهر بعد العصر، ورأى رجلاً يقضي سنة الفجر القبلية بعد الفجر و لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم .

إذاً تقضي هذه السنن لو فاتتك، اقضها لا تتركها لا تضيعها، هي من عمل اليوم والليلة ـــ أيها الأخوة ـــ إننا إذا بدأنا نتهاون فيها، ثم لم نقضيها، كان ذلك سببًا في تضييعها بالكلية، بل قد نتهاون بعد في الفريضة، والله المستعان

.فكن ممن حافظ عليها أداءً أو قضاءً ..

من أحكام السنن الرواتب، أنك ما تصلي في نفس المكان الذي صليت فيه الفريضة إلا أن تحدث كلاماً أو انتقالاً، رأى معاوية رضي الله تعالى عنه رجلاً صلى البعدية في الجمعة في مكان صلاته للجمعة فأرسل إليه وقال : أمرنا صلى الله عليه وسلم أن لا نصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج، رواه مسلم، فواحدة من اثنتين : إما أن تنتقل من مكانك الذي صليت فيه الفريضة، أو تخرج إلى البيت وهذا أفضل، وإما أن تتكلم وتكلم إنساناً، تتكلم فتقطع ترابط الفريضة بالنافلة، وهذا خاص بالفرض والنافلة ليس بالنفل والنفل على ما جاء في سياق حديث معاوية والله أعلم، فلا تصل فرضاً بنافلة إلا أن تنتقل أو تتكلم . وهل لو أنه أتى بأذكار الصلاة يكفي ؟ الله أعلم، الظاهر أنه ما يكفي؛ لأنه ذكر من جنس الصلاة؛ فلعل المراد تأكيد القطع أكثر بعد التسليم بكلام الناس أو نحوه، فإذا تزاحمت عليك الأمور وكان خلفك من يصلي وجنبك من يصلي، فما فيه إلا أنك تحاول تتكلم بس، الذي جنبك يصلي والذي وراك يصلي والذي قدامك يصلي تتكلم مع من ؟ يقول الأخ: تتصل بالهاتف، لا، ما أظن هذا من المراد .

أيها الأخوة ــ بارك الله فيكم ــ هذه بعض أحكام الرواتب وبعض ما يتعلق بها، فاحرص على أدائها وحافظ عليها، واحرص على أدائها بسننها وآدابها حتى لا يفوتك الأجر. إذا عرفنا صلاة الضحى، وعرفنا قيام الليل، وعرفنا الرواتب، ولك أن تتنفل نفلاً مطلقاً تصلي تصليتصلي، وتكثر من الصلاة تصلي بعد المغرب، تصلي بعد الظهر وتكثر تكثر من الصلاة هذا نفل مطلق، فاحرص

عليه، اللهم لا يحل لك أن تصلي في أوقات النهي لا تصلي نفـــلاً مطلقـــاً في أوقات النهي : بعد العصر إلى أذان المغرب لا تصلي، ممكن تقضي راتبة، ممكن تقضي فريضة أو ذوات أسباب كما قال بعض أهل العلـــم؛ تصـــلي صـــلاة استخارة أو صلاة كسوف مثلاً بعد الفجر أو صلاة جنازة تكون ذات سبب يفوت، أما النفل المطلق فلا، الوقت الأول بعد العصر إلى أذان المغرب، الوقت الثاني : بعد الفجر إلى ارتفاع الشمس، الوقت الثالث : عند الزوال، يعني قبل أذان الظهر تقريباً بعشر دقائق لا تصلي، انتبه لهذا قبل الظهر تقريباً بعشر دقائق لا تصلي النفل إلا يوم الجمعة فلك أن تصلي حتى يصعد الإمام .

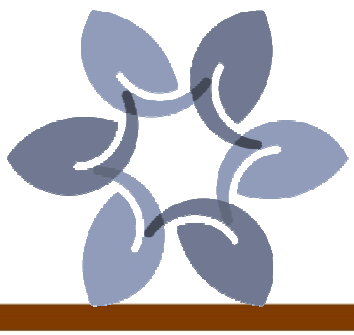
وفّقنا الله وإياكم للطاعات وجعلنا وإياكم ممن يحافظون ويؤدون الصـــلوات، على الوجه الذي يرضي رب الأرض والسماوات، إنه سبحانه وتعالى قريـــب مجيب . والله تعالى أعلى وأعلم .



قصة يوسف

دروس وعبر

٣



أحسن القصص

الخـــطــبة الأولى[1]

الخـــطــبة الأولى:

الحمدللهالسميعالبصـــــــير،

{لَهُمَافِيالسَّمَاوَاتِوَمَافِيالْأَرْضِ وَلَهُالْحَمْدُفِيالْآخِرَةِوَهُوَالْحَكِيمُالْخَبِيرُ} ،يعلممايلجمنالأرضومايترلمنالسماءومايعرجفيهاسبحانهوإليهالمصـــير،

{ذَلِكَبِأَنَّاللَّهَهُوَالْحَقُّوَأَنَّمَايَدْعُونَمِنْ دُونِهِهُوَالْبَاطِلُوَأَنَّاللَّهَهُوَالْعَلِيُّالْكَبِيرُ} ،وأشهدأنلاالهإلاالله وحدهلاشريكله،وأشهدأنمحمداًعبدهورسولهالبشيرالنذير،م

نيهدهاللهفلامضلله،ومنيضللفلنتجدلهمندوناللهمنوليولانصـــير،

{يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواْاتَّقُواْاللّهَحَقَّتُقَاتِهِوَلاَتَمُوتُنَّإِلاَّوَأَنتُممُّسْـــلِمُونَ} ،

{يَاأَيُّهَاالنَّاسُاتَّقُواْرَبَّكُمُالَّذِيخَلَقَكُممِّننَّفْسٍوَاحِدَةٍوَخَلَقَمِنْهَازَوْجَهَاوَبَثَّمِنْهُمَارِجَالاًكَثِيراًوَنِسَاءوَاتَّقُواْاللّهَالَّذِيتَسَـــاءلُونَبِهِوَالأَرْحَامَإِنَّاللّهَكَانَعَلَيْكُمْرَقِيباً} ، {يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوااتَّقُوااللَّهَوَقُولُواقَوْلاًسَـــدِيداً{٧٠} يُصْلِحْلَكُمْأَعْمَالَكُمْوَيَغْفِرْلَكُمْذُنُوبَكُمْوَمَنيُطِعْاللَّهَوَرَسُولَهُفَقَدْفَازَفَوْزاًعَظِيماً} .

(١) ألقيت بتاريخ ٤ ربيع أول ١٤٢٨هـ .

أما بعد :

عباد الله، إن الله تعالى قد أنزل كتابه تبياناً وهدىً وموعظة للمتقين، {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، كم حدّثنا الله في القرآن عن أخبار؟ كم علمنا سبحانه وتعالى في القرآن من أحكام؟ أنذرنا وبشّرنا، حذّرنا ورغّبنا، وقصّ علينا فيه القصص {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} بل أمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقص علينا ما قصه الله عليه {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، وليس المراد من القصص عباد الله مجرّد الإمتاع فقط، ولا التسلية بحديث مفترى مُختَلَق، فيه حبكة الرواية، وعقدة القصة، لا والله، بل كما قال الحق عز وجل : {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} فيه قصص القرآن عظة وعبر، {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} ليس قصصاً خيالية، ولا قصصاً مؤلفة مُختَلَقة، {وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} تصديق ما بين أيدي اليهود والنصارى من الأخبار، {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

وإنما أعظم مقصص القرآن، ومن أحسنها وأجملها، أحسنها أسلوباً، وأروعها حواراً، وأعمقها عبراً وعظات؛ قصة يوسف عليه السلام؛ هذه القصة العظيمة التي أفرد الله لها سورة كريمة، ما ذُكرت قصتها إلا في سورته، سورة يوسف، وقصة يوسف {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} هي أحسن القصص؛ لأنا لله أنبأنا فيها عن كل شيء، وفصّل لنا فيها أخبار كل شيء، هي أحسن القصص؛ لأنها تنقلكم من حالٍ إلى حال، ومن حياة إلى حياة، من حياة البادية إلى حياة الحاضرة، م

نحياة الملوك والقصور إلى حياة سوقة الناس وعامتهم، من حياة الخدم إلى حياة المساجين، تخبر كهذه السورة عن تلك الطبقة المخملية، وأيشي ء يكون فيها نساء علية القوم؟، ثم تخبر كبعد ذلك عن حياة البؤس والكدح في عيشالكادحين، تغوص في هذه السورة فيأدق من هذا وأكبر؛ لتحدّث كعن نوازع النفس البشرية، أيشي ء يكون في هذه النفس من حسد، ثم مؤامرات، ثم إلقاء يوسف عليه السلام في الجب؟ أيشي ء يكون في هذه النفس من فاحشة وهوى، ثم مؤامرات ثم إلقاء يوسف عليه السلام في السجن؟ تحدّث كهذه السورة عن النفوس العالية السامية التي تستعلي على المعصية والفاحشة، التي لا تعرف إلا التسامح والعفو عن الجميع مهما صدر منهم وكان .

وأما يوسف عليه السلام فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، يوسف الذي اجتمع فيه طيب النسب، واجتمع فيه طيب الصفات، يسأل رسول كم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أي الناس أكرم يا رسول الله؟ قال: " أكرم الناس أتقاهم "، قالوا: ليس عن ذلك نسألك، قال: " فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله "، "يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم"، كما أخبر رسولنا صلى الله عليه وسلم، يوسف عليه السلام هو بطل قصتنا القرآنية هذه، صلى الله عليه وسلم، لا يكاد يخرج من محنة إلا ويقع في محنة أشد، هكذا من محنة إلى محنة، فما خرج إلا عبداً نبياً تقياً زكياً، أي محن هذه التي اختبر الله وابتلى يوسف عليه السلام ! من محنة حسد إخوته له، إلى إلقائه في الجب، من محنة الهوى والشهوة من امرأة العزيز، إلى إلقائه في السجن والغربة والوحشة، من محنة التهمة بالباطل إلى البقاء في السجن بضع سنين، من محنة الاستشارة والوزارة، إلى المنصب والجاه والملك؛ فالأولى محنة حسد

وعداوة،والثانيةمحنةشهوةوهوى،والثالثةمحنةسجنوابتلاء،والرابعةمحنةسرّاء،ويوسفعليهالسلاميخرجمنهذهالمحنتقياًنقياًلاشائبةولافتنة، { فَاعْتَبِرُوايَاأُولِيالْأَبْصَارِ } .

هيأحسنالقصصوربي { نَحْنُنَقُصُّعَلَيْكَأَحْسَنَالْقَصَصِ }

قصةٌأخيالفاضلتخبركعنالأنبياءوالصالحين،وعنالأبوةوالأخوة،وعنالملوكوالمماليك،وعنالعبيدوالخدم،وعنالملائكةوالشياطين،وعنالرجالوالنساء،وعنالطيروالأنعام،

قصةٌأخيالفاضلتنقلكمنحالٍإلىحال؛منباديةإلىحاضرة،منذلإلىرفعة،منجدبإلىخصب،

قصةٌأخيالكريمفيهاحاسدومحسود،وعاشقومعشوق،وشاهدومشهود،وظالمومظلوم،وسجنوسجّان،وداعيةومدعو،

قصةٌتتابعتأحداثها،وتشابكتعقدها،وصُورتلكأشخاصها،فكأنكتراهاوتنظرإليهاوأنتتقرأهافيكتابهللهعزوجل .

فأيقصةٍهذهالقصة؟فيهاذكرعلومالاجتماعوالاقتصاد،وعلومالسياسةوالزراعة،وعلومالتربيةوالدعوة،وتحدّثكعنالإيمانوالتوحيد،

لاغروأنتكونأحسنالقصص،لاعجبأنيكونفيهاالعظةوالعبرةلكلمؤمنولكلسائل .

أيهاالمؤمنونعبادالله؛لذلككانسلفناالصالحرحمهمهللهتعالىيتدبرونهذهالآيات،ويخرجونمافيهامنعبروعظات،كانوايتلونهافيالصلاة،ويكررونهاويرددونهاعلىالناسفيالفرائض؛هذاالفراصةبنعميرحمهللهيقول: "ماأخذتسورةيوسفإلامنقراءةعثمانبنعفانكانيقرأهافيصلاةالصبح؛منكثرةماكانيرددها "،هذاعبدللهبنعامررحمهللهيقول: "صلينواوراءعمربنالخطابرضيللهتعالىعنه؛فقرأبنافيصلاةالصبحبسورةيوسف،وسورةالحجقراءةبطيئة،قلنا: لقدكادالصبحأنيطلع،قلت: أجل"،رواهماالإمامماللك .

هيأحسنالقصـــــــــــــــــــــــــــــص؛لأنعاقبة كلمنذُكرفيها كانتإلىخير، هيأحسنالقصص؛لمافيهامنحسنالمحاورة،وروائعالعبر،وبديعالحكم، نســـأل الله أن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين، قلت مـــا سمعـــتم واســـتغفر الله لي ولكـــم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخـــطبة الثانيـــة :

يوسف والرؤيا

وتبدأالقصةـــمعاشرالكـــرامـــ :

تبدأبرؤيامناميةرآهايوســـــــــــــــــــــــففيمنامه،فماذارأى؟وماتأويلهذهالرؤيا؟، وتبدأالقصةـــمعاشرالكـــرامـــوإذاأراداللهأمراًمنالأصولالعظامقدّمبينيديهمقدمة؛ لتكونتوطئةله،واستعداداًلمايردمنالمصاعبوالمشاق .

ويرىيوسفعليهالســـــــــــــــــــلامالرؤيا،ويخبرهاأباه {إِذْقَالَيُوسُـــــــــــــــفُلِأَبِيهِ} وأبوهيعقوب،يعقوبالملقببإسرائيل،يعقوبابنإسحاقابنإبراهيمعليهمالصلاةوالسلام،ا ستقربأرضالشامحولبيتالمقدس،ورزقهاللهتعالىباثنيعشرولداًذكراً،وهذهمننعماللهعل ىعباده،أصغرهميوسفعليهالسلام،كانصغيراً،كانفيسنصغيرة؛حتىأنأباهكانيخشى عليهأنيأكلهالذئب،ورأىالرؤيا،وقصهاعلىأبيه؛لأنهلايُسالويُستفتىإلاالعالم،لأنهلا يُستشارإلاالناصح {يَاأَبَتِإِنِّيرَأَيْتُأَحَدَعَشَرَكَوْكَبًاوَالشَّمْسَوَالْقَمَرَرَأَيْتُهُمْلِيسَاجِدِينَ



} ،ورؤيا الأنبياء حق، والرؤيا الصادقة من المبشرات، وليست كل رؤيا صادقة تدل على صدق رائ يها معاشر المؤمنين، تلك رؤيا الملك الكافر رأى رؤيا صادقة وليس هو بشيء، بل مثلها إذا وقعت على ندرة كمثل خبر الكاهن قد يصدق في شيء من خبر السماء، وهو ليس بشيء، لكنها إنت ررتو صدقت دل على صدق الرائي، يقول عليها الصلاة والسلام : "أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا" .

وأدب الرؤيا الصادقة أيها المؤمنون ثلاثة أشياء كما ذكر هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: فإذا رأى أحدكم رؤيا طيبة؛ فليحمد الله عليها، وليستبشر بها، ولا يحدث بها إلا من يحب، وأما الرؤيا المكروهة فأدب ها ستة أشياء:

فإذا رأى أحد كم ما يكره فيما منامه؛ فليتعوّذ بالله من شرها، وليتعوذ من الشيطان الرجيم، وليتفل عن يسار ه ثلاثاً، ولا يخبر بها أحداً أصلاً، وليتحول عن جنبه، وليقم ويصلِ .

والرؤيا على رجل طائر، فمتى ما عُبرت وقعت؛ لذلك يقول عليها الصلاة والسلام: "لا تخبر بها إلا لبيباً أو حبيباً"، وأغلب تأويل الرؤى أيها الكرام يكون على المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، مع أن تعبير الرؤى أمر عظيم؛ لأنه من القول على الله والقول على الملك، ألستم تقرؤون في سورة يوسف شأن الرؤيا: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا} فهيفتوى، فاتقالله أنت عبّر ما لا تعلم، أغلب تأويلا لرؤى يكون على المشابهة في الاسم والصفة؛ فال كواكب كالنجوم هداية في السماء، والأنبياء هداية للناس، وأحد عشر كوكباً كأحد عشر نبي اً، أعظمها الشمس والقمر، والشمس مؤنثة فيها الأم، والقمر مذكر فهو الأب، والسجود يدل على التقدير والاحترام ورفعة المنزلة، وهنا يتنبه الألبل هذه المكانة العظيمة التي سيصل إليها يو

سف، تنبهيعقوبعليهالسلامأنيوسفسيكونالحلقةالرابعةفيسلسلةالاصطفاءالنبوية؛إبراهيم، ثمإسحاق، ثميعقوب، ثميوسفعليهمالصلاةوالسلام، تنبهيعقوبلمايكونفيالعادة بينالأخوةمنتنافس، وخصوصاًإذاتميزعليهمالابنالصغيرالذيهومنأمأخرىكماجاءفيبعض الأخبار .

أيهاالآباءالكرام، أحياناًيقعفينفسالأبأوفينفسالأمشيءٌمنالشريتوقعهقبلأنيقععلىأبنائه؛فيكونالأمركمايشاءالله؛لذلكوجههبهذاالتوجيه: {قَالَيَابُنَيَّلاَتَقْصُصْرُؤْيَاكَعَلَىإِخْوَتِكَ} وأمرهأنيكتمهذهالنعمة، فنحنمأمورونبكتمانالنعمةإذاخشيناحسداًأوضراً، ألميقللنارسولناصلىاللهعليهوعلىآلهوسلم: "استعينواعلىإنجاحالحوائجبالكتمانفإنكلذينعمةمحسود"، والحسدأيهاالمؤمنونغالباًمايحدثبينالناسالذيبينهمقاسممشترك؛ كأنيجتمعوافيعلم، أويجتمعوافيمهنة، أويجتمعوافيقرابة، فتجدأنالحسديكثركثيراًبينالأقرانوالإخوانوالأقارب؛لذلكتنبهيعقوبعليهالسلام، فأمرابنهبأخذالأسباب، أسبابدفعالعينوالحسدعنه، وهذاشأنهعليهالصلاةوالسلام، قاللأبنائهالأحدعشرلماأرادواأنيدخلوامصر: {وَقَالَيَابَنِيَّلاَتَدْخُلُواْمِنبَابٍوَاحِدٍوَادْخُلُواْمِنْأَبْوَابٍمُّتَفَرِّقَةٍ}، فالمسلمياعباداللهمأمورأنيتخذالأسباب، ويدفععننفسهالشر، حتىلايقععليه { لاَتَقْصُصْرُؤْيَاكَعَلَىإِخْوَتِكَفَيَكِيدُواْلَكَكَيْداً } أي: فيحسدوكويبغونكالشر، ويحتالونعليكحتىيوقعواعليكالضر، والكيد: هوالتدبيرفيخفاءلإيصالالضرإلى الإنسانمنحيثلايشعر، وهناكأنيوسفعليهالسلاميتعجبولماذايفعلإخوتيبيهذا؟!

ولماذايحسدونني؟! فيأتيجوابأبيهالحكيم: {إِنَّالشَّيْطَانَلِلإِنسَانعَدُوٌّمُّبِينٌ}،يوسفهذاأولاً: يجبعلينا أننتخذالأسبابلدفعالشروالحسدبينكوبينإخوتك،وثانياً: يايوسف،إليكتأويلالرؤيا {وَكَذَلِكَيَجْتَبِيكَرَبُّكَ} أي: تأويلالرؤيا أنيجتبيكربكويصطفيك، {وَيُعَلِّمُكَمِنتَأْوِيلِالأَحَادِيثِ}: يعلمكمنأحاديثالكتبالسماويةويعلمكمنتعبيرالرؤى؛لأنالرؤىإماحديثنفسأوملك أوشيطان، {وَيُتِمُّنِعْمَتَهُعَلَيْكَوَعَلَىآلِيَعْقُوبَ}: يتمعليكالنعمةفيالدنياوالآخرة،يتمعليكنعمةالنبوةوالملك، {كَمَاأَتَمَّهَاعَلَىأَبَوَيْكَمِنقَبْلُإِبْرَاهِيمَوَإِسْحَاقَإِنَّرَبَّكَعَلِيمٌحَكِيمٌ}: عليمبمنيستحقالاصطفاء،حكيمسبحانهحيثيجعلنبوتهورسالته،ألميقلسبحانه: {اللّهُأَعْلَمُحَيْثُيَجْعَلُرِسَالَتَهُ}،وفيهذاأيهاالمؤمنونجوازأنيُذكرالإنسانبسوءعلىوجهالنصيحة،وجوازأنيُمدحالرجلفيوجههإذاأُمنتالفتنة .

ثمتمضيالقصة،يقولابنعباسرضياللهعنهما: "كانبينالرؤياوبينتأويلهاأربعونسنة؛كماهوقولأكثرالمفسرين"؛ أربعونسنةياعباداللهمُلئتبالأحداثوالوقائعوالأحوالالمختلفة،انتقلفيهايوسفمنحالإلىحال،والتقىبأشخاصمنأنواعوطبقاتشتى،وصارتلهمنالعجائبوالغرائبماقصاللهتعالىفيكتابه،فأيشيءهذاالذيحدثفيهذهالأربعين؟وهلحسدإخوةيوسفأخاهم؟ولماذا أُلقييوسففيالجب؟وهلأكلهالذئب؟هذاماسيكونحديثناإنشاءاللهفيخطبتناالقادمة .

الخطبة الثانية[1]

يوسف وحسد إخوته

الخـــطـــبة الأولى:

أيها المؤمنون عباد الله: دخل عمر رضي الله عنه مسجد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم، فوجد قاصاً يقص على الناس، فقال عمر: من هذا؟ فقالوا: هـــذا قاص يقص علينا، فعلاه عمر بالدرة وجعل يضربه، ويقول له: أتقص يا عـــدو الله! والله يقول: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)، فكفى بقصص القـــرآن وعظًا وعبرة، وتبدأ قصة يوسف عليه السلام بتلك الرؤيا الكريمـــة، ثم تجـــري أحداث القصة لتكون هذه الرؤيا هي آخر شيء يفسر على أرض الواقع بعـــد سنين طويلة، وفي ثنايا هذه السنين تدور رحى الأحداث؛ وأول شيء في هذه القصة بعد الرؤيا هو حسد الإخوة لأخيهم وتآمرهم لقتله، يقول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، للسائلين بلسان المقال وبلســـان الحال، فالباحثون عن الحق هم الذين ينتفعون بالمواعظ والآيات والعبر بخلاف المعرضين، اقبلوا على سماع هذه القصة بمسامع قلوبكم، رحمكم الله .

(إذ قالوا ليوسف وأخوه)، يقصدون أخاه من أمه، (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبةإن أبانا لفي ضلال مبين)، يقولون: هذا غلطٌ ظاهر؛ كيف يفضل اثـــنين على عشرة ؟ والعشرة أكثر له نفعًا، كيف يفضله علينا دون موجب نـــراه ولا أمرٍ نعلمه؟ وما اخطأ نبي الله يعقوب عليه السلام، وإنما أحب يعقـــوب ابنـــه

(١) بتاريخ ١١ ربيع أول ١٤٢٨هـ .

يوسف لما رأى عليه من علامات النبوة واكتساب الكمالات، ويعقوب عليه السلام حاول أن يخفي حبه ليوسف، والمرء لا يلام على ميلان قلبه، وأما ما ظهر من مزيد اهتمامه به فلعظيم ما سيحصل له، ولأهمية ما يحتاج إليه من التربية والتعليم .

- وفيه هذا وقفة لبيان أهمية العدل في كل الأمور حتى في معاملة الوالد لأولاده؛ فيعدل الأب وتعدل الأم بين الأبناء في المحبة والإيثار وفي كل شيء يستطيعانه، أيسرك - أخي- أن يكونوا لك في البر سواء، فاتق الله واعدل بين أولادك، كان بعض السلف رحمهم الله يعدلون بين أولادهم حتى في القبلات، لكن الله أراد امرًا كان مفعولا، وتأتي المكيدة التي ما سمع التاريخ بمثلها:

(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين)، اقتلوه أو غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة؛ فلا يتمكن من رؤيته، حتى يخلص لكم أبوكم ويصفو؛ فإن قلبه اشتغل بمحبة يوسف فليس يتفرغ لكم، ثم بعد هذه الجريمة تتوبون إلى الله وتستغفرونه، انظر أخي في الله كيف قدموا العزم على التوبة قبل فعل الذنب؛ تسهيلاً لفعله وإزالة لشناعته.

ثم تأملوا — رحمكم الله- كيف يزين الشيطان المعصية، ماذا تريدون؟ من وجهة نظرهم التي زينها لهم الشيطان: أنهم لا يرغبون في العقوق، بل يرغبون في إقبال أبيهم عليهم، ومن وجهة نظرهم أنهم سيكونون بعد ذلك قوماً صالحين، هذه دسائس خطوات الشيطان؛ يزين المعصية ويمني العاصي بالتوبة، فإذا وقع فيها يأسه من رحمة الله تعالى، (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) .

– أو هكذا يفعل الحسد، الحسد يعمي ويصم، ويطفيء نور البصيرة على المؤمن، سئل الحسن البصري رحمه الله: أيحسد المؤمن؟ قال: سبحان الله ما أنساك لإخوة يوسف! هذا عامر بن ربيعة وهو صحابي جليل حسد سهل بن حنيف، قد يقع الحسد بين المؤمنين، قد يقع الحسد بين الإخوة، انظروا أثر الحسد ماذا فعل؟ حسد إبليس لآدم أدى لترول آدم إلى الأرض، وهي أول معصية كانت في السماء، وحسد ابن آدم لأخيه أدى إلى قتله، وهي أول معصية كانت في الأرض، يقول عليه الصلاة والسلام: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا .. وكونوا عباد الله إخوانا"،متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)، يقول: ألقوه في قعر البئر شديد الظلمة حيث يغيب خبره، ولا ترتكبوا كبيرة القتل، يكفيكم أن يأخذه غيركم إلى بلاد بعيدة؛ فيغيبه عن وجه أبيكم، وهذا وإن كان من الشر العظيم، لكن بعض الشر أهون من بعض، ويتفقون على هذه المكيدة، ويأتون أباهم :

(قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون)، نادوه بلفظ الأبوة استعطافاً له وتحريكًا لحنو الأب الذي جبلت عليه طبائع الأباء، (وإنا له لناصحون)مشفقون عليه ما نود له إلا ما نوده لأنفسنا، وقد كان يعقوب عليه السلام لا يرسله مع إخوته للبرية، فقالوا: أرسله معنا نحوطه ونكلؤه وننصح له، فنفوا المانع من إرساله، ثم ذكروا ما في إرساله من المصالح العظيمة: (أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون)، أرسله معنا غدًا يأكل كيف شاء،

يتتره في البرية، يستأنس بما يرى من خضرة الطبيعة وبما يسمع من تغاريد البلابل، ونحن حافظوه لك من أن يناله شيء تكرهه، عزوا لأنفسهم الحفظ لأنهم كبار، وليوسف اللعب لأنه صغير، والصغير له حق في اللعب معاشر الأباء، تقول عائشةرضي الله تعالى عنها: اقدروا قدر الجارية صغيرة السن الحريصة على اللعب، فالصغير له حقٌ أن يُلاعبه أبوه وأن يُداعبه، لكن يعقوب عليه السلام رد عليهم بما في نفسه: (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)، قال لهم أبوهم: إن مجرد ذهابكم بيوسف يشق علي، هذا هو المانع الأول، والمانع الثاني وأخاف أن يأكله الذئب؛ لأن ذلك المكان كان كثير الذئاب، (وأنتم عنه غافلون) مشتغلون بالرتع واللعب غير مهتمين بحفظه، في بعض الآثار: أن الله عاتب يعقوب عليه السلام بسبب هذه الكلمة؛ ففقد ابنه أربعين سنة، كيف تقول: أخاف أن يأكله الذئب، و لم تقل كما قلت في آخر القصة: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، وهنا جاء جوابهم سريعًا: (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)، استبعدوا هذا ؟ كيف يأكله الذئب ونحن عشرة من الرجال ولا نستطيع أن نحمي أخانا من الذئب؛ إذًا لا خير فينا ولا نفع منا، واقتنع الأب، وسيذهبون به غدًا للبرية، فماذا سيفعلون ؟ هذا ما سنكمله بعد جلسةٍ قصيرة، قلت ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

يوسف في الجب

وخرج إخوة يوسف به عليه السلام بعد أن أقنعوا أباهم يوم أمس أنهم يحفظونه، (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب)،وحُذف جواب الشرط، لم يذكر الله ماذا فعلوا؟ لأنهم ههنا فعلوا فعلاً لا يوصف، ذكر السدي وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه، ثم شرعوا يؤذونه بالقول ويشتمونه، ويؤذونه بالفعل ويضربونه، يذهب إلى هذا فيؤذيه هذا، يستغيث بالثاني؛ فيركله ضربًا إلى الثالث، يا أخوتي ما الذي جرى؟ لم تصنعون بي هكذا، ألست أخاكم؟ إلى أين تحملوني بهذه القسوة؟ وتصوروا هذا المشهد، طفل صغير جميل خلوق، من عائلة أنبياء، يؤذى بهذه الأذية من أقرب الناس له .

فعدوا عليه

عازمين

لقتله** وقالوا له هذا

حمامك قد حضر

وقد لطموه فوق خلقةِ

وجهه** و لم يلق يوم الضيق من ناصر نصر

تـــــــــعـــــــــلق في أذيـــــــــال روبـــــيـــــــــل
صكـــــــــــــــــــــــه** على وجهه ألقاه في الترب
فنعـــــــثـــــــــــر
فقال أجرني يا أخي يا ابن والدي** أجراك رب العرش والعز من
سقـــــــــــــر
وصـــــــــــار إذا مـــــــــا يستـــجيـــرُ
بـــــــــــواحـــــــــــــــــدٍ** إذا قـــــــــلبُـــــه أقسى
عـــــــــليه مـــــــن الحجـــــــــر
ألا فـــــــرحـــــــموا ذلي ورقـــــــــــــــــوا
لـــــحـــــالـــــــــــتي** ورقوا لمـــــــــــــــن ذاق
المـــــــذلة في الصـــــــغـــــــــــر
إذا كنـــــــــــــتـــــــمُ ظهـــــــــــري وأولادُ والـــــــدي**
فما حيلتي إن حن ظهري وانكسر

لقد اجتمعوا وربي على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالـــد، وقلـــة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وبالكبير ذي الحق والحرمة والفضل ليفرقوا بينه وبين ابنه، وسبحان الله قد تكون عداوة القرابة أشد من عداوات الأجانب، أي غيظ يحلمونه على يوسف حتى احتالوا هذه الحيلة ودبروا هذه المكيدة، ما زال الغيظ في قلوبهم حتى قالوا بعد سنين: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبـــل)، يقصدون يوسف، أي حسد هذا! وهم لم يرحموا بكاء أبيهم سنين، و لم يعترفوا بجرمهم، بل يقولون كلما ذكر لهم يوسف:(تالله إنك لفي ضلالك القديم)، (

تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين)، لكنه الحسد الذي يعمي ويصم، أيها الأخوة اعلموا أنه لا ينبغي لنا أن سب أبناء يعقوب؛ لأنهم تابوا بعد ذلك وتاب الله عليهم واجتباهم سبحانه تمام النعمة على آل يعقوب في قول جمع من المفسرين، لكنها حكمة الله وأخذ العبرة .

هكذا يفعل الحسد بالناس، قد يوقعهم في القتل قد يوقعهم في السحر وأشد المعاداة، فلا تتعجب بعدها من حاسد ! نزعوا منه قميصه، ذبحوا شاة ثم لطخوا قميصه بدمها، أنزلوه، فلما نزل قطعوا الحبل، جعلوا أخاهم في ظلمات البئر حيث لا أنيس إلا الظلام، ولا مخلوق إلا الثعابين والهوام، حدثوني بحال يوسف وهو في تلك الظلمة في تلك البئر المهجورة! طفل بلا طعام ولا ماء، بلا خبز ولا كساء، لا أهل ولا أقرباء، لا يسمع حوله إلا صوت ذئبٍ يعوي في صحراء مدوية، والله لو كان كبيرًا لخاف فكيف وقد كان صغيرًا، لكن الله معه وكفى بالله وليًا ونصيرًا، (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)، أوحى الله إليه وهو في هذه الحالة وبشّره: سيأتي اليوم يا يوسف تخبرهم بما فعلوا بك بعد أن يمكنك الله، يا يوسف ستخبر أخوتك بالذي كان منهم ولن يعرفوك؛ لأنهم لم يخطر ببالهم أن الله ينجيك ويجتبيك، لن يعرفوك لأنهم لم يخطر ببالهم قدر ولاية الله بعباده المؤمنين، لكن اصبر فالعاقبة للمتقين، نقل ابن جرير في تفسيره: عن ابن عباس رضي الله عنهماقال: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون)، جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن، فقال: إنه هذا الجام ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب، قال: ثم نقره فطن، قال:

فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم على قميصه بدم كذب، ثم نقره فطن، فقال: ولكم أخ آخر شقيق له، فائتوني به، ويوسف يعرف أن الصواع لا يتكلم؛ لكن أرادها حيلة ليستخلص منهم شقيقه، قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم، قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم: (لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون).

هذا الوحي جاء في هذه الساعة لتثبيت يوسف عليه السلام ولجبر خاطره؛ فإنه المظلوم الذي أوذي من أخوته، والمظلوم يحتاج إلى جبر خاطره، هكذا علمنا القرآن أن نحرص على جبر الخواطر المنكسرة، ألم يقل الله تعالى في التي كسر خاطرها بسبب طلاقها: (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)، ألم يقل الله تعالى جبراً لخاطر الأيتام والمساكين الذين يحضرون قسمة الميراث: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)، فالله جابر قلوب عباده، لطيف سبحانه يوصل لطفه إلى عباده بطرق خفية.

وإذا العناية لاحظتك عيونها ** نم فالحوادث كلهن أمان

ولكي تكتمل فصول التمثيلية: (وجاؤوا أباهم عشاء يبكون)، فماذا قالوا لأبيهم؟ وبأي عذر اعتذروا له؟ وكيف كشف يعقوب عليه السلام كذبهم؟ ثم ما الذي حدث ليوسف عليه السلام وهو في ظلمة البئر؟ وأين ذهب به الذين أخذوه؟ وما القضية التي رُفعت على يوسف في قصر العزيز؟ هذا ما سنقف عليه إن شاء الله في الخطبة القادمة .

الخطبة الثالثة[1]

يوسف إلى مصر

الخطبة الأولى :

أيها المؤمنون: كنا في الخطبة الماضية مع قصة يوسف لما ألقاه إخوته في البئر المهجورة، وجاؤوا أباهم عشاء يبكون، ويمشي القاتل في جنازة المقتول، أتوا عشاءً ليكون إتيانهم متأخرًا وبكاؤهم دليلاً على صدقهم، لكنهم في الحقيقة لم يبكوا وإنما تباكوا، والعذر: قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق، نتسابق بالعدو على

(١) بتاريخ ١٨ ربيع أول ١٤٢٨هـ.

الخيل أو على الأقدام، نتسابق بالرمي بالسهام، وتركنا يوسف عند متاعنا: ليحرس لنا ثيابنا، تركناه في مكان أمين حيث نحفظ ثيابنا ومتاعنا، فأكله الذئب، أي ذئب! الذئب الذي كان قد حذرهم أبوهم منه، وقالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذًا لخاسرون، ثم سبحان الله أكله الذئب، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين، حتى لو كنا عندك من أهل الصدق ما صدقتنا في هذه القضية لشدة محبتك ليوسف وما علق في قلبك من تهمتك لنا، ولكن عدم تصديقك لنا لا يمنعنا أن نعتذر إليك بالعذر الحقيقي، أنت معذور يا أبانا في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق، يا الله اسمعوا لهذا الكلام، وانظروا لقبيح الفعل والإجرام، يا الله كاد المريب أن يقول: خذوني، وسبحان الله يا نبي الله يا يعقوب: ما يغني حذر من قدر .

أيها المؤمنون: تأملوا شؤم الذنوب، فالذنب الواحد يستتبع ذنوبًا متعددة، كم مرة كذب أخوة يوسف على أبيهم، وكرروا الكذب بعد الكذب، أعوامًا وهم يكذبون على أبيهم، واصروا على إخفاء الحقيقة و لم يتوبوا ويبينوا، واهتدى أبوهم لكذبهم :

وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا: زينت لكم أنفسكم أن تفرقوا بيني وبين ابني يوسف، ما الذي فعله لكم أبوكم؟ ما الذي جناه عليكم أخوكم؟ ويرى يعقوب عليه السلام قميص يوسف، ويستدل بقرائن الحال، قال يعقوب: سبحان الله! إن كان هذا الذئب لرحيمًا ! كيف أكل لحمه و لم يخرق قميصه ؟ هل خلع قميص يوسف أولاً، ثم أكله ثانيًا، ثم مسح القميص بدمه ثالثًا ؟ كذب مفضوح، ولا بد أن يترك الكذاب- أيها

الأخوة- أثرًا يدل على جريمته، لكن ماذا سيقول هذا النبي؟ ولمن يتوجه؟ قال عليه السلام: فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون، إلى من أشكو ؟ والذي خذلني هم أبنائي، إلى شامت يشمت فيّ؟ كان يعقوب عليه السلام من قبل لا يستطيع أن يفارق ولده زمناً يسيراً، (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ)، لكن سترون صبر الأنبياء؛ الصبر الجميل، الصبر الجميلهو الصبر الذي لا جزع فيه، صبر لا شكوى فيه لأحد، إلا للواحد الأحد، والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب .

يعقوب- أيها الكرام- قال في الولد الأول: فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون، وقال في الولد الثاني: فصبرٌ جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا ، والصبر سبيل الفرج، فمن كان يظن أن يوسف يُلقى في البئر طفلاً، ثم يدخل السجن في قضية تتعلق بوزير الملك، ثم يصير بعد ذلك كله ملك مصر !! .

يقول أحد أهل العلم وهو يتعجب من قميص يوسف الذي كان ثلاث آيات: حين ادعوا أن الذئب أكله فضحتهم سلامة القيمص، وحين ادعت امرأة العزيز أن يوسف اعتدى عليها، كان دليل البراءة سلامة القميص، وحين ألقي قميص يوسف على وجه أبيه ارتد بصيراً، فسبحان الذي يدافع عن أوليائه بما شاء .

ثم تولى يبكي عله السلام حتى ابيضت عيناه، وفي بعض الآثار:أن الملائكة بكت لبكاء يعقوب عليه السلام، كان أبو بكر رضي الله عنه يقرأ سورة يوسف في صلاة الفجر فإذا بلغ قوله تعالى: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) بكى وبكى الناس معه، وافترق يوسف ويعقوب عليهما السلام أربعين سنة، افترقوا ليلتقوا في آخر القصة بعد أحداث مؤلمة، وهنا أسدل الستار على يعقوب عليه السلام .

وجاءت سيارة: رفقة مارة تسير من الشام إلى مصر، واخطئوا الطريق لأن رب يوسف يهيىء ليوسف أمرًا، ضلوا الطريق فعبروا بالقرب من هذه البئر المهجورة، فأرسلوا واردهم: مقدمهم الذي يستسقي لهم الماء، فأدلى دلوه: فتعلق يوسف بالدلو وخرج إليهم، فلما رآه، قال: يا بشرى هذا غلام، استبشر برؤية يوسف، ففيه جواز البشارة بالأمر السار، وأسروه بضاعة: أخفوه عن بقية القافلة لئلا يشاركوهم في ثمن بيعه، وقالوا لهم: إنما دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، والله عليم بما يعملون: عليم سبحانه بالذي باعوا يوسف، وعليم سبحانه بالذين كانوا سببًا في أن يكون عبدًا يباع ويشترى، وهو الكريم ابن الكريم، والله عليم بما يعملون، لكنها حكمة الله؛ لتكتمل القصة، وتحصل الحكمة الإلهية .

والعظة معلومة، يا محمد وأنت تسمع هذه القصة اصبر على ما نالك من أذى في ذات الله؛ فإن الله قادر على تغيير ذلك لكن له حكمة، ولأمره أجل .

ويؤخذ يوسف إلى مصر حيث بقية أحداث القصة، وشروه: أي باعوه، بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين؛إذ لم يعلموا بنبوته ومنزلته عند الله، (والله غالب على أمره)، والله غالب على أمره: أمره يعقوب ألا يقص رؤياه على إخوته؛ فغلب أمر الله حتى حسدوه، ثم أراد إخوته قتله؛ فغلب أمر الله حتى صار ملكًا وسجدوا بين يديه، أراد الإخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم؛ فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم ولم ينس يوسف، ثم دبروا أن يكونوا من بعده قومًا صالحين؛ أي تائبين فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه زمنًا طويلاً، ثم تابوا بين يدي يوسف وقالوا: (تالله لقد آثرك الله

علينا وإن كنا لخاطئين)، ثم دبروا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص؛ فغلب أمر الله فلم ينخدع، وقال: (بل سولت لكم أنفسكم أمرًا)، ثم دبرت امرأة العزيز أنها إن بدأت بالكلام غلبته في الحجة وألصقت به التهمة؛ فغلب أمر الله حتى قال لها العزيز: (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)، وهكذا تستمر سورة يوسف بمشاهدها الأخاذة، وبحديثها الشائق، وبروعتها في الأداء وفي الأخذ بأطناب القلوب.

فكيف عاش يوسف بمصر ولا أب ولا أهل ؟ وإلى يد من صار ؟ وما قصته في قصر العزيز ؟ هذا ما سيكون حديث بعد قليل إن شاء الله .

الخطبة الثانية :

يوسف في قصر العزيز

الحمد لله ولي المتقين، أحب المحسنين، وقرب المتقين، ولا عـــدوان إلا علـــى الظالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، إمامنا وقـــدوتنا محمـــد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنـــا أو نتخـــذه ولدًا: هذه مقدمات التمكين، يقول عزيز مصر لامرأته: أكرمي مثواه، عسى أن يكفينا بعض المهمات أو نتبناه ولدًا، تفرس فيه أنه ينوب عنه في أمر المملكـــة، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أكثر الناس لا يعلمون؛ لذا هم يحاولون أن يغالبوا أحكام الله القدرية وهم أعجز من ذلك .

ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين: ولما كملت قوتـــه الحسية والمعنوية وصلح لتحمل أعباء النبوة، آتيناه حكمًا وعلمًا؛ جعلناه نبيـــاً وهاديًا ومعلمًا، اللهآتاه حكمًا وعلمًا؛ لأنه لا بد من الإعداد والتربيـــة قبـــل مواجهة الفتن، كذلك نجزي من أحسن في طاعة ربه، وأحسن في ترك معصيته .

ويوسف عليه السلام أيها الكرام: ما لبث أن خرج من فتنة البئر، ومن فتنـــة حسد إخوته له، ودخل قصر العزيز ينعم فيه بنعيم الدنيا من مطعم ومشـــرب وملبس، حتى جاءته فتنة شديدة لا يصبر عليها إلا الصابرون، ولا يتقيهـــا إلا المخلصون المحسنون؛ إنها فتنة النساء .

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك: أحبتـــه وعشقته وراودته بابًا بعد باب؛ تطلب منه ما تطلب المرأة من الرجـــل برفـــق

ولين، قالت له: (هيت لك) تزينت لك وقربت منك، تعال إلى الحرام، والعياذ بالله من شر الفتن، وهذه المحنة- أيها الكرام- أعظم من محنته مع إخوته حين ألقوه في الجب؛ لأن تلك المحنة كانت محنة اضطرار؛ كسائر المحن بالأمراض والمكاره، فليس للعبد إلا الصبر عليها طائعًا أو مكرهًا، أما هذه فكانت محنة اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فيوسف شاب وشهوة الشباب أعظم وأكبر، وهو أعزب لا زوج له، والمرأة سيدة القصر ذات الجمال والسلطان، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وقد تجملت له ودعته بسائر أنواع الإغراء، والمسكن واحد وقد يقع السوء ولا يشعر به أحد من الناس، وزوجها قليل الغيرة، وهو بعد ذلك كله غريب عن بلده، والغريب لا يتحرج كما يتحرج من هو بين معارفه وأهله، وصار المحل خاليًا، وقد آمنا من دخول أحد بعد أن غلقت الأبواب، ودعته لنفسها بسائر وسائل الإغراء، قالت له: هيت لك، فماذا قال لها ؟ ماذا قال: لقد قال قولةً صارت أسوةً من بعده لكل الأتقياء الشرفاء، قال: معاذ الله، يا يوسف كيف صبرت هذا الصبر العظيم على ترك معصية الله ! يا يوسف دفعت خاطر السوء من النفس الأمارة بالسوء، فعشت عفيفًا، ومت شريفًا، وكنت عند الله رفيعًا، وقد كان المانع - يا شباب- الذي منع يوسف من الوقوع في الفاحشة مع توفر أسبابها أربعة أشياء: أولها: معاذ الله: تقوى الله رب العالمين، ومراقبة آله الأولين والآخرين، وثانيها: إنه ربي أحسن مثواي، تعظيم جرم خيانة السيد الذي أكرم مثواه، وثالثها: إنه لا يفلح الظالمون، صيانة لنفسه من الظلم – يا شباب الأمة- الذي لا يفلح من تعاطاه، ورابعها: ما رآه من برهان ربه من العلم والإيمان، فكيف

بعد ذلك أدنس عرضي، وأسخط ربي، وأخون سيدي، وأكن من الظـــالمين، والجامع لذلك كله وباختصار أن الله صرف عنه السوء والفحشاء؛ لأنه مـــن عباده الذين أخلصوا عملهم لله، ومن عباده الذين أخلصهم الله تعالى واختصهم لنفسه.

ومن هنا يتقرر لنا معاشر الكرام: ووجوب البعد عن محال الفتن والفرار منها، وخطر الخلوة بالنساء اللاتي يخشى منهن الفتنة، والحذر من زيادة تعلق القلـــب الذي قد يقود إلى الفاحشة، وأن العبد – معاشر الكرام- إذا خطرت له خواطر السوء فليقابلها بمحبة الله تعالى، إذا خطرت له خواطر الفحشاء فليحرقها بخشية الله تعالى، إذا خطرت له خواطر الرذيلة فليغلب إيمانه؛ ليغلب هواه، فيكون ممن (خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)، ويكون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله سبحانه، والعبد إذا هم بالسيئة فلم يعملها- أخوة الإيمان- كتبت له حسنة، ويقول الله لملائكته: إنما تركها من جرائي .

ويتبين لنا أيضًا أن عشق الصور إنما يبتلى به القلب الذي خلا من محبة الله تعالى وخشيته، لذا قال بعض السلف: العشق حركة قلب فارغ، أي فارغ من محبة غير المعشوق، ويتبين لنا أيضًا أهمية التربية؛ تربية الشباب علـــى مراقبـــة الله، وخاصة أننا أصبحنا في زمن تُعرض الفتن على شبابنا وفتياتنا على صور عظيمة من الإغراء، في محال لا ينظر إليهم فيها إلا الله، وعبر وسائل لا تخفي علـــيكم، فوا أسفي على منهج يوسف، في هذا الواقع المؤسف، صورة عارية، وكـــأس وجارية، وشهوات سارية، كلها تقول: هيت لـــك ، ولـــيس عنـــد الجيـــل صرخةمعاذ الله ! فاتقوا الله يا مجد هذه الأمة، واتقوا الحرام !! .

واستبقا الباب .. وهرب يوسف عليه السلام من الوقوع في الفاحشة، وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب.. فماذا قالت له؟ وبأي شيء حكموا عليه؟ وما خبر النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ ولماذا اختار يوسف أن يسجن ؟ أتدرون أن يوسف عليه السلام لما سجن لم يترك الـــدعوة إلى الله، لم يتـــرك الدعوة إلى الله وهو في داخل السجن، بل دعا السجناء إلى توحيد الله وحذرهم من خطر الإشراك به، دعونا نقف عند هذا الحد؛ لنواصل في خطبة لاحقة إن شاء الله الوقوف على آيات هذه الأحداث.

الخطبة الرابـــعة[1]

يوسف
وكيد النسوة

[1] . بتاريخ ٢٥ ربيع أول ١٤٢٨هـ .

الخطبة الأولى :

أيها الأحبة: خطبتنا الماضية وقفنا عند قوله تعالى: (واستبقا البابوقدت قميصه من دبر : قطعت قميصه من ورائه لأن يوسف كان هو الهارب و كانت هي الطالبة، وسقط القميص في الأرض، وألفيا سيدها لدى البابقالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) فلما رأته، بادرت بالكذب واتهمت يوسف عليه السلام، قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ؟ إنه رودني عن نفسي فدفعته عن نفسي فشققت قميصه، قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي وفررت منها فأدركتني فشقت قميصي، فقال الشاهد، قيل: صبيًا في المهد، وقيل: رجل حكيم من أهلها: تبيان هذه الدعاوي في القميص؛ فإن كان القميص قد قدّ من الأمام فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من الخلف فكذبت وهو من الصادقين، فأتي بالقميص فوجده قد من دبر، فعرف كذب زوجته، قال: (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم): لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن، والكيد – أيها الكرام– هو المكر والحيلة، لأن مكرهن لا يطاق، ويقع بخفاء مع البكاء والادعاء.

ثم جاء حكمه وعلاجه لهذه القضية، ما العلاج: (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)، أي حل هذا وقد ترك النار بجوار الحطب، إنما يدل ذلك على قلة غيرته أو انعدامها حيث لم يعاقب زوجته، و لم يفرق بينها وبين يوسف عليه السلام حتى استمرت في مراودته، وهكذا يفعل بعض الرجال اليوم للأسف، لا يغار من أبطال التلفاز، لا يغار من حديثها مع

البائع، لا يغار من تسكعها في الشوارع، لكن الله يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر، وشاع من أمرهما: (امرأة العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسهقد شغفها حبًا) يقلن: قد وصل حبها يوسف إلى شغاف قلبها أي سويداء قلبها، فدخل تحته حتى غلب على قلبها، وهذا أشد ما يكون من الحب، (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ: فيه الفرش والوسائد، وقدمت لهن طعام يقطع بالسكين، (وآتت كل واحدة منهن سكينًا) وأمرت بتزيين يوسف عليه السلام، وكان أجمل الناس، أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن جمال يوسف فقال:"أعطي يوسف شطر الحسن"؛ أي نصف الجمال الذي خلقه الله في الخلائق كان ليوسف، (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه: عظمنه ودهشن من منظره، وأجرين السكاكين عليهن وذهبت عقولهن، و لم يشعن بألم القطع من شدة الدهشة بجماله، (وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم): فقلن : نحن نلومك على حب هذا الرجل ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء، قالت: هذا الذي سلب لبي واذهل قلبي مثلما فعل بكن، فلا لوم علي بعد اليوم: قالت فذلكن الذي لمتنني فيه، ولما رأتنه جماله الظاهر وحسنه الأخاذ، بينت لهن أيضًا جماله الباطن (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، أي استعف وامتنع مما أريده طالبا لعصمة نفسه عن ذلك، ثم توعدته إن لم يفعل ما تريده كاشفة لجلباب الحياء هاتكة لستر العفاف فقالت:(ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)، فماذا يفعل يوسف عليه السلام، وقد

اجتمعت نساء علية القوم عليه، وأصبحن يغرينه ويهددنه، قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين: الحل الأول: يا رب لئن اختار السجن وعذاب الدنيا أهون عندي من لذة حاضرة تنقضي وتوجب غضبك علي وعذاب الآخرة، والثانية: يا رب إليك ألجأ وبك أعتصم فاعصمني يا الله من حبائل النساء ومكرهن، والثالثة: نظر إلى عواقب المعصية، يا رب إن صبوت لما يردن مني، أكن من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك، لأن آثرت الفاني على الباقي، وارضيت الشيطان وأغضبتك يا الله، هكذا كان يوسف دائمًا – يا شباب الإسلام- كان دائمًا متصلاً بالله، في أشد المراودة، يقول: (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)، وفي أشد المكر مكر النساء، يقول: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)، وفي لذة الفرح بنصر الله وإحسانه، يقول: (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا)، ومع العز بعد الذل والظفر بعد الصبر، والتمكين في الأرض: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).

فما الذي كان (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم)، واشتهر الخبر وصار الناس فيه بين لائم وعاذر وقادح، (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات: آيات براءة يوسف وعفته، ليسجننه حتى حين): لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر كلما وجدت أسبابه، فإذا عدمت أسبابه تناساه الناس .

سجن يوسف عليه السلام بلا مناقشة ولا محاكمة و لم يستطع أن يدلي بأقواله ولا أن يدافع عن نفسه ولا جعلوا له محاميا، ولابد من سجن يوسف حتى يتوهم المجتمع أن امرأة العزيز بريئة وأن يوسف هو المذنب، ويمكث في السجن سنين طويلة، قال سعيد بن جبير: إلى سبع سنين، فما أعظم صبر الأنبياء ! .

فكيف قضى يوسف هذه المدة مسجونًا؟ وماذا كان يصنع في السجن ؟

نواصل حديثنا خطبتنا الثانية، قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ..

يوسف
في السجن

الخطبة الثانـــية :

أيها الأخوة الأفاضل: لم يستسلم يوسف في السجن للشكوك والوساوس، و لم يجلس ليبكي على أقدار الله، بل قام خير قيام بهمته التي لن يتوقف عنها حتى في غياهب السجون، قام يدعو السجناء إلى الله، ويعلمهم شرع الله، كان يعـــود مريضهم ويعزي حزينهم وإذا احتاج منهم إنسان جمع له من المال، كان يعبد الله كثيرًا؛ حتى تأثر من حوله، (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنـــا بتأويله إنا نراك من المحسنين): وهنا كانت الفرصة مواتية لما بدت حاجتهما إليه وإقبالهما عليه، صارت الفرصة مناسبة لكي يدعوهما إلى الإيمان، وجاءت دعوته لهما على خطوات: الأولى: (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما): اطمئنا فأول ما يجيء إليكما غداؤكما أو عشاؤكما نبأتكما بتأويل هذه الرؤيا، فعلق قلوبهم سيأتي الجواب، ستعلمون بعد قليل ما معـــنى هـــذه الرؤى، لمن عندي الآن لكن عندي الآن لكما أمرًا مهمًا، وهذا هو معلم الناس الخير، يرغبهم في سماعه ويشوقهم له، ثم يبدأ معهم بالأهم فالأهم، فهدايتـــهم للإيمان أهم من تعبير الرؤيا لهم .

وثاني الخطوات: دعوتهما بلسان الحال: ذلكما مما علمني ربي: هـــذا الخـــير والإحسان الذي رأيتموه مني سببه: إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهـــم بالآخرة هم كافرون، واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس

لا يشكرون: وصف نفسه حتى يعرف فيأخذ منه، هكذا حالي وحال كل من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين؛ فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماما يقتدى به في الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد، (ذلك من فضل الله علينا) أن جعلنا أنبياء (وعلى الناس): أن بعثنا إليهم رسلا، ثم انتقل يدعوهما بلسان المقال، ويبين فساد الشرك ويبرهن عليه، وبين حقيقة التوحيد ويبرهن عليه: (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)، هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم المختلفون في صفاتهم المتنافون في عددهم خير لكما يا صاحبي السجن أم الله المعبود بحق المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضد له ولا ند ولا شريك، القهار الذي لا يغالبه مغالب ولا يعانده معاند ؟ أورد يوسف عليه السلام على صاحبي السجن هذه الحجة القاهرة على طريق الاستفهام لأنهما كانا ممن يعبد الأصنام ؟ ثم انتقل بعد ثنائه على ربه؛ ليبين لهما زيف ما يعبدون: (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان): آلهة سميتموها بأسماء الآلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، صماء بكماء ما أنزل الله على صحة عبادتها من دليل، (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) فالحكم لله العدل يقضي بالعدل ويفصل بالحق، أمر أن تعبدوه فتوحدوه، وأن تطيعوه فتخضعوا له، (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، هذا الدين هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه والحق الذي لا شك فيه .

بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة، ثم برهن على أن ما يعبدونه لا يستحق الالهية، ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي

العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه، وهكذا فلتكن دعوتنا للآخرين، لنحمل هذا النور لملايين البشر الغارقين في ظلمة الإلحاد والشرك، لندعو في مقار أعمالنا، وفي تجمعاتنا السياحية، وعلى صفحات الانترنت؛ لندع حيثما كنا، حتى لو كنا في بطون السجن؛ فهذه هي طريقة الأنبياء .

وإليكم الآن تأويل الرؤيا: (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا : أما الأول فيفرج عنه من السجن ويصبح ساقيًا للخمر عند الملك، (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه: وأما الآخر فيحكم عليه بالإعدام، والخبر الذي تأكل منه الطير هو لحم رأسه وشحمه، سيقتل ولن يقبر بل سيصلب حتى تتمكن الطير من أكله، (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان): فبدأ حياتك بالتوحيد، وأنت اختم حياتك بالتوحيد .

وهنا قال كلمة: (وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) يقول: اذكرني عند سيدك وأخبره بمظلمتي وأني محبوس بغير جرم، (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين): وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع سبحانه بما هو فيه خلاصه، ولكنه نسي فطال من أجلها في السجن حبسه، عن أنس رضي الله عنه: أوحي إلى يوسف: من استنقذك من القتل حين هم إخوتك أن يقتلوك ؟ قال: أنت يا رب، قال: فمن استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه ؟ قال: أنت يا رب، قال: فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك ؟ قال: أنت يا رب، قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميًا ؟ قال: جزعًا، وكلمة تكلم بها لساني، قال: فوعزتي لأخلدنك في السجن بضع سنين؛ فلبث فيه سبع

سنين، وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس يقول نبينا صلى الله عليه وسلم:" ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل"، روه الطبراني وغيره، يا الله لطفك من أجل كلمة، قال يعقوب كلمة: (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون)، فعاتبه الله وفرق بينه وبين يوسف أربعين سنة، وقال يوسف كلمة للسجين: (اذكرني عند ربك)، فعاتبه الله في السجن بضع سنين، كان الحسن البصري رحمه الله، إذ قرأ هذا الموقف يبكي ويقول: ونحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس !! فاتق الله وصل أمرك بربك وخالقك سبحانه، والاستعانة بمن يقدر جائزة، والتسليم الأمر كله لله مقام الأنبياء عليهم السلام .

فكيف خرج يوسف بعد هذه السنوات من السجن؟ وما هي رؤيا الملك، وكيف عبرها يوسف ؟ وماذا قالت امرأة العزيز في مجلس المحاكمة ؟ ما أجمل طعم الخروج من السجن، لكن يوسف عليه السلام لم يرض أن يخرج من السجن إلا بشرط ! فماذا عساه أن يكون ؟ نواصل معكم هذه السلسلة العطرة في جمعة قادمة إن شاء الله .

الخطـــبة الخـــامســـة[1]

يوسف
ورؤيا الملك

الخطبة الأولى:

عباد الله: ومكث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين، وإذا أراد الله أمرًا سهل أسبابه، وكان سبب خروج يوسف من السجن رؤيا ملك مصر، (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) رؤيا عجيبة؛ بقر تأكل بقر، وعجاف هزيلات تأكل سمان ممتلئات، (وسبع سنبلات خضـــر وأخـــر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون)، لم يهدأ للملك بالٌ و لم يستقر له حال حتى يقف على أمر هذه الرؤيا، جمع الســـحرة، جمـــع الكهنة، جمع المنجمين، جمع القافة؛ فقصها عليهم، فقالوا: (أضغاث أحلام) إنها أخلاط رؤيا كاذبة مشتبهة لا حقيقة لها، (وما نحن بتأويل الأحلام بعـــالمين): فانظر كيف جمعوا بين الجهل والجزم ؟ حقيقة التعالم والإعجاب بالنفس عنـــد بطانة السوء، وهنا ترجع الذاكرة بالذي نجا من السجن، ويتذكر يوسف الذي أوّل رؤياه، (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) أي بعد زمن طويل، (أنـــا أنبئكم بتأويله فأرسلون)، يقول: أطلقوني أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به، وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ذُكر، والمعنى: فأرسلوه فأتى يوسف فقال له: (يوسف أيها الصديق) ويجوز لنا أن نثني على شخصٍ بما هـــو فيه، إذا لم يكن الثناء يضره ويقطع عنقه، (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلـــهن

---

(١) بتاريخ ٣ ربيع ثاني ١٤٢٨ هـ.

سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) يعلمون تأويل هذه الرؤيا أو يعلمون فضلك ومعرفتك لفن التعبير، وهنا جمع يوسف الناصح عليه السلام بين تأويله للرؤيا وبين عرض مشورته فيما يحتاجون إليه ويستعدون به من التدابير الزراعية والاقتصادية، وأصبحت الرؤيا بعد تأويله واضحة، أما السمان فسنون مخصبة، وأما السبع العجاف فسنون مجدبة لا تنبت شيئًا، وأما الخضر فهي السنون المخاصيب، وأما اليابسات فهي سنين القحط والجدب، الخصب والجدب سيكون في الزروع؛ وخاصة السنبلات التي هي أعظم الأقوات وأفضلها، وسيكون الخصب والجدب في الحروث أيضًا التي تحرثها البقر، وإليكم المشورة: تزرعون هذه السنين السبع المتتابعات كما كنتم تزرعون سائر السنين على عادتكم فيما مضى، وما حصدتم في كل سنة من السنين المخصبة اتركوه في سنبله ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس (إلا قليلاً مما تأكلون) في هذه السنين، وهذا ما تؤكده اليوم الدراسات الحديثة: أن ترك الحب في سنبله عند تخزينه وقاية له من التلف بالعوامل الجوية ومختلف الآفات، ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها سنون سبع شداد؛سنون قحط، (يأكلن ما قدمتم لهن) يُؤكل فيهن ما قدمتم وأعددتم لهن من الطعام والأقوات في السنين الخصبة (إلا قليلا مما تحصنون) إلا يسيرًا مما تدخرونه وتخزنونه، (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) ثم يصيب الناس غيث؛ فتعظم الثمرات وتكثر؛ حتى أنهم يعصرونها ويتلذذون بها؛ يعصرون فيه العنب، ويعصرون فيه الزيت، ويعصرون فيه الدهن، ويحتلبون فيه الألبان .

وعُرض تأويل الرؤيا على الملك، وذُكرت له المشورة، فسمع قولاً لم يجد مثله في بطانة السوء من حوله، حسن تأويل، وحسن تدبير، (وقال الملك ائتوني به) أرسل رسولاً يخرجه ويأتي به من السجن، (فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم)، لم يرض يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن حتى تثبت أولاً براءته ويعلم الجميع أنه مظلوم، قال للرسول: قبل أن أخرج؛ سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن والمرأة التي سُجنت بسببها ؟ أيها الأفاضل: لقد أعطي يوسف عليه السلام من الحلم والصبر والأناة ما تضيق أذهاننا عن تصوره؛ ولهذا ثبت عند الطبراني بسند صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول نبينا صلى الله عليه وسلم:" عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له، حيث أرسل إليه ليستفتى في الرؤيا ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له، أتي ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب"، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم: "ولو لبثتُ في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي"، وأبى يوسف أن يخرج حتى تظهر الحقيقة؛ لأنه سيخرج للناس داعية وقدوة، فكيف يخرج وقد طعن في عرضه! الدعوة عند يوسف عليه السلام أهم من كل شيء ولو طال السجن، ورجع الرسول من عند يوسف برسالته إلى الملك؛ فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ودعا امرأة العزيز، وبدأ التحقيق فقال لهن: (ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) فاعترف النسوة، (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء)، الله أكبر، ما أجمل ظهور الحق بعد مصارعة

الباطل، والباطل ساعة، والحق إلى قيام الساعة، ثم جاء دور امـــرأة العزيـــز، فقامت لتعلنها صريحة أمام الملأ وأمام الناس كلهم في مجلس التحقيق، قالـــت: (الآن حصص الحق) تبين وظهر (أنا راودته عن نفسه وإنه لمـــن الصـــادقين)، فصاح يوسف عليه السلام فرحًا بظهور الحقيقة: (ذلك لـــيعلم أني لم أخنـــه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين)، وهنا رُوي أن ملكًا من الملائكة قـــال له: يا يوسف، ولا يوم هممت بها ؟ فقال يوسف حينئذٍ: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)، وما منكم من أحدٍ يدخل الجنة بعمله أيها الأخوة، إلا أن يتغمدنا ربنا برحمةٍ منه وفضل، فاجتهد في طاعة الله وترك معصيته، وادع الله أن يثبتك على هذا الخير .

(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) يقول: أجعله مـــن خلصـــائي دون غيري، وهذه عادة الملوك أن يجعلوا الأشـــياء النفســـية خالصـــة لهـــم دون غيرهم،(فلما كلمه) أعجبه كلامه وزاد موقعه عنده، (قال إنك اليـــوم لـــدينا مكين أمين)، مكناك فيما تريد وآمناك على ما عندنا، فوجدها يوسف عليـــه السلام فرصة ليتوصل إلى نشر العدل ورفع الظلم، وجدها فرصة ليتوصـــل إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان، (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)، لم يكن ذلك حرصًا من يوسف على الولاية، وإنمـــا رغبة منه في النفع العام، ويجوز—معاشر المؤمنين- لمن وثق من نفسه أن يدخل في أمرٍ من أمور السلطان، ليرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل، وأسلم الملك ليوسف سلطانه كله، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ، وخـــزائن الأرض وهي الأمكنة التي تخزن فيها الأموال تحت يدي يوسف، (وكذلك مكنا

ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء)، فسبحان القادر، سبحان الغالب على أمره، سبحان خير الحافظين، سبحان الحفيظ العليم، بعد الحبس والضيق، بعد التهمة والظلم، بعد العبودية والأسر، بعد الحسد والجب، يتصرف يوسف في أرض مصر كما يتصرف الرجل في منزله، (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون).

أيها الأخوة الكرام: إن فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، كما من رجلٍ آتاه الله من فضله فبخل وظلم، كم من رجل فتح الله عليه في المال، فنسي فقره وقال: ورثته كابر عن كابر، كم من رجل فتح الله عليه في المنصب والنفوذ، فتفرعن وقال: إنما أوتيته على علم عندي، كم من مخدوعٍ خدعته الدنيا فانخدع، أما يوسف عليه السلام، فكان على ما كان؛ ينشر الحق، ويرد الظلم، ويدعو إلى الله، ويرحم الضعفاء، ويخرج مجتمعه من أزمة القحط والجوع التي تعصف به، وهذا ما سنسمعه في خطبتنا الثانية، قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولك فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانيـــة:

يوسف وإخوته

(وجاء إخوة يوسف) جاءوا إلى مصر من أرض كنعان ليمتاروا طعامًـــا لمـــا أصابهم القحط، وكانت سنوات شديدات في غاية القحط، ألم يدع النبي صلى الله عليه وسلم بمثلها على قريش: "اللهم أعني عليهم بسنين كسنين يوســـف"، عم القحط البلاد، فكان الناس يأتون بلاد مصر؛ لأن فيها العدل والإحســـان، والحكمة وحسن التدبير، (فدخلوا عليه فعرفهم) عرفهم لأنه فارقهم رجـــالاً، (وهم له منكرون) لأنهم فارقوه صبيًا يباع بالدراهم في أيدي السيارة، ودخلوا عليه الآن وهو رجل عليه أبهة الملك ورونق الرئاسة وعنده الخدم والحشم فلـــم يعرفوه، وما أشد هذا اللقاء! وما أقسى هذا الالتقاء بعدما حدث منـــهم مـــا حدث!! وكان يوسف عليه السلام لا يحمل للرجل إلا بعيرًا واحدًا، حتى يعم الخير الجميع، (ولما جهزهم بجهازهم) أعطاهم ما طلبوه من الميرة، وما يصلحون به سفرهم من العدة التي يحتاجها المسافر، سألهم عن حالهم: من أنـــتم؟ ومـــا خبركم؟ فأخبروه أنهم اثنا عشر ابناً لأب من الأنبياء، هلك واحد منهم اسمـــه يوسف، وبقي آخر عند أبيهم، وذكروا له الأخبار، وقصوا عليـــه الأحـــوال، فحبس عبرته، وأظهر تعجبه، أنتم أحد عشر أخًا! لا بد أن أرى أخاكم الحادي عشر، (قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم) ورغبهم في ذلك: (ألا تـــرون أني أوفي

الكيل وأنا خير المترلين) ائتوني به كيما أحمل لكم بعيرًا آخر فتزدادوا به حمل بعير فوق أبعرتكم، وأنا خير من نزل ضيفٌ عنده، والضيافة مشروعة، بل هي من سنن المرسلين، وبعد أن رغبهم، هدّدهم: (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) أي لا تقربوا بلدي ولا تصيبوا من خيري، أراد تدبير ما به وصول أخيه إليه، أخوه الذي سيشفي قلبه من أخبار أبيه، أبوه الذي فارقه من سنين، (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) سنطلبه منه، سنجتهد في ذلك بما نقدر عليه، وقيل: سنخادعه حتى ننتزعه منه، وتأكيدًا لهذا الأمر وحسنًا لتدبيره، (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)، رد البضاعة التي دفعوها ثمنًا إليهم؛ لأنه يعلم شدة حالهم، خشي ألا يكون عند أبيه طعامٌ غيره، رده ليعلموا عظيم كرمه؛ فيطمعوا في الرجوع، كيما يردوا الثمن أو يحصلوا على مزيد من الكرم.

(فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) عمل عليه السلام بظنه الذي صدقته القرائن وسابق أفعالهم؛ لأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

(ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا) فماذا نطلب من الكرم فوق ذلك،(ونمير أهلنا) لأنه سيمنعنا إن لم نأتِ إليه بأخينا، (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير) يسير عليه وسوف يوفينا إياه، ومن هنا يتعلم الدعاة إلى الله أن إكرام الناس والقيام على حوائجهم من أعظم أسباب جذبهم للخير وتقبلهم له .

(قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) حتى تحلفوا بالله لتأتني بهإلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتوني به، (فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل)، ونصح الأب المشفق أبنائه الأحد عشر وهو يودعهم: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) خاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد، رجال أقوياء علماء، أبناء أنبياء، قال الله في شأن آبائهم: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ)، وجدتهم سارة عليها السلام لم يكن لها مثيل في الجمال في زمانها؛ كما ورد في الحديث الصحيح: (امرأة لم يُرَ مثلها)، فلا جرم أن يأتي أبناؤها وأحفادها على هذا النحو من البهاء والجمال، وهذا سبب، والمقدر لا بد أن يكون (وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، قضوا وطرًا ليعقوب، وهو شفقة الوالد، فحصل له نوع طمأنينة وقضاء لما في خاطره؛ بدخولهم من طرق متفرقة؛ فبذل السبب وتوكل على الخالق سبحانه، وهكذا فليكن التوحيد والتوكل .

ثم ماذا؟ كيف كان مشهد التقاء يوسف بأخيه؟ وبأي شيء حدّثه لما خلى معه؟ وما حال أبيه وقد فقد الاثنين؟ أيها الأخوة إنه الموقف الذي انتظرناه طويلاً يوم أن كشف يوسف عن شخصيته لأخوته؟ يوم أن تعانقوا متباكين،

يوم أن أبصر يعقوب من جديد، واحتضن يوسف .. لنقف مع هذه المشـــاهد المهيبة في الخطبة القادمة إن شاء الله .

الخطـــبة السادســـة[1]

يوسف ولقاء أخيه

الخطبة الأولى:

عباد الله، ومازالت مشاهد قصة يوسف عليه السلام تجدد لتحيـــي في قلوبنـــا الإيمان، (ولما دخلوا على يوسف) قال: ليبت كل أخوين مع بعضهما، وبقـــي أخوه بنيامين لوحده، فقال: هذا بقي لوحده، فسآخذه ليبيت معي، (آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون)، فما أرق لقاء الأمن بعـــد الخوف! وما أعذب عناق الأخوة بعد الفراق! وأراد يوسف عليه السلام بقاء أخيه لديه، فاحتال لذلك حيلة مشروعة، جهزهم بجهازهم وأكرمهم وحمل لك واحد بعيرًا، وجعل سقاية الملك في رحل أخيه، فلما انطلقـــوا، أرســـل مـــن يوقفهم: (أيتها العير إنكم لسارقون)، فنفوا ذلك عن أنفسهم، (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)، كيف وقد أعدنا لكم ثمن بضاعة العام الماضي، فقال أصحاب يوسف: فماذا تقولون إن وجدنا متاعنـــا عنـــد أحدكم؟ (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه)، كانت هـــذه شـــريعة يعقوب عليه السلام أن السارق يسترق عبدًا للذي سرق منه، وما كان يوسف ليحكم بدين الملك الجاهلي، لكنه أراد أن يحكم بشرع الله؛ وليتوصل إلى أخذ

---

(١) بتاريخ ١٠ ربيع ثاني ١٤٢٨ هـ.

أخيه، يقول سبحانه: (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)، يسرنا له أسباب هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر غير مذموم، (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم)، وبدأ التفتيش، وحسنًا في التدبير بدأ يفتش في أوعيتهم، ثم أخرج سقاية الملك من وعاء أخيه، فماذا قالوا: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)؛ يعنون أخاه لأبيه وأمه وهو يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم، وأن هذا وأخاه شقيقه قد تصدر منهم السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا أيها الملك، أما نحن فلا يصدر منا مثل هذا الفعل، سبحان الله! لا يصدر منكم مثل هذا الفعل وأنتم فعلتم ما هو أعظم؟ سبحان الله لا يصدر منكم مثل هذا الفعل وأنتم فعلتم ما هو أفظع؟ لكن الكريم ابن الكريم، (فأسرها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم قال أنتم شر مكانًا) شرٌ فعلاً وقولاً وظلمًا (والله أعلم بما تصفون) .

ثم سلكوا معه مسلك التملق لعله أن يسامحهم:

(قالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين. قال معاذ الله) يقول:أستجير بالله كيف آخذ برئيًا بسقيم ! وقد أقررتم بما قلتم، وحكمتهم بأنفسكم .

ولما يئسوا أن يجيبهم (خلصوا نجيا) يناجي بعضهم بعضًا سرًا، فقال كبيرهم: ماذا ستقولون لأبيكم، أنسيتم أنه أخذ عليكم عهدًا أن تردوا له ولده، أنسيتم فعلكم الأول يوم أضعتم يوسف، فحزن له حزنًا عظيمًا، (فلن أبرح الأرض) التي أنا بها (حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين)، ارجعوا إلى أبيكم يعقوب فقولوا له: (يا أبانا إن ابنك سرق) فأخذه الملك بسرقته، فإن قال

لكم: ما يدري هذا الملك أن السارق يؤخذ بسرقته إلا من شريعتكم وبقولكم ! فقالوا: (وما شهدنا إلا بما علمنا) أن هذا هو حكم الله، (وما كنا للغيب حافظين)، لو كنا نعلم يا أبانا أن هذا سيحدث ما كنا لنأخذه معنا أبدًا، (واسأل) إن شككت في قولنا (القرية التي كنا فيها) اسأل أهلها، (والعير التي أقبلنا فيها) اسأل أصحابها، (وإنا لصادقون)؛ لأن الذي عُرف عنه الكذب لا يُصدّق أيها الأخوة وإن صدَق، ولكم أن تتخيلوا يعقوب عليه السلام يسأل تلك القوافل التي رجعت كلها مطمئنة آمنة، ورجعت قافلته وأحد أبنائه فقد، لكم أن تتخيلوا حال أب فقد ثلاثة من خيرة أبنائه، يوسف وشقيقه وأكبر أولاده، (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا)، لكن ماذا أفعل ؟ لمن اشتكي صنيع أبنائي بي؟ لم ترحموا شيبتي ولا حزني ؟ (فصبر جميل) لا شكاية فيه لأحد، (عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا)، يقول: عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعًا، (إنه هو العليم) بحالي وشدة حزني وضعفي، (الحكيم) سبحانه في تدبير أمر خلقه، ونكئوا جرحه القديم فتذكر يوسف عليه السلام، والمصائب يرقق بعضها بعضًا، (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف) والأسف هو أشد الحزن والتندم، (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) مكظوم على الحزن؛ مملوء منه، ممسك عليه لا يبينه، والله لا يحاسب العبد على حزن قلبه ودمع عينه، ولكن على ما يصدر من اللسان والجوارح من نياحة وتسخط على قضاء الله وقدره، قد قال النبي صلى الله عليه وسلم عند موت ولده إبراهيم: "تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون" .

ومع هذه المواقف التي تدمع لها العيون، وترق لها المشاعر، تدرون ماذا قـــالوا؟ (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين): لا تفتر من حب يوسف لا تمل من ذكره حتى تبلى وتهرم وتفنى، أو تكون من الميتين، اسمعوا يمنعونه من البكاء والحزن شفقة عليه، وهم كانوا سبب أحزانه ومنشـــأ همومه وغمومه، لكن ليست الشكوى إليكم، رفع الله قدرك يا نبي الله: (قـــال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم له، قال: لم أشكُ ذلك إليكم، (وأعلم من الله مـــا لا تعلمون) أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني سأســـجد لـــه، أعلـــم أن الله ربي سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم، رفع الله قدرك يا نبي الله يا يعقوب، ما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار على طول هذه الســـنين، وتجـــدد هـــذه الأحزان، (يا بني اذهبوا) إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفـــتم أخـــويكم بـــه (فتحسسوا من يوسف وأخيه) يقول: التمسوا يوسف واسألوا عنه، من يعرف يوسف هناك يا أبانا؟ يوسف فقدناه من عشرات السنين؟ ما بالك تذكره، لماذا لا تنساه؟ يقول: (ولا تيأسوا من روح الله) لا تقنطوا من فرجه ورحمته، (إنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون) .

فهل وجدوا في مصر خبرًا عن يوسف؟ وهل سيلتقي به بعد فراق أربعين سنة؟ قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

يوسف وتحقق الرؤيا

الخطبة الثانيـــة:

وخرج أبناء يعقوب راجعين إلى مصر فدخلوا على يوسف، (فلما دخلوا عليـــه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) جاءوا يستعطفونه، مستنا الضراء وشـــدة الجدب والقحط (وجئنا ببضاعة مزجاة) قليلة لا تبلغ أن تكون ثمنًا لما نريد، لكن نطلبك (فأوف لنا الكيل وتصدق علينإن الله يجزي المتصـــدقين)، الله أكـــبر، بالأمس، يتعلق بصدر أحدكم وهو صغير فيضربه، ويستغيث بالآخر فيلطمه، لم ترحموه وأنت أخوته، والله يجبر خاطره وهو صغير من ظلمكم لـــه، ويقـــول: (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)، وجـــاء الوقـــت وهـــم يســـترحمونه ويستعطفونه، بعد أن استرحمهم واستعطفهم، يترجونه كما ترجاهم، يتوسلون إليه كما توسل إليهم، أدركته الرقة، باح لهم بالذي يكتم منهم، قـــال: (هـــل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون)، ومن هنا معاشر الكرام نعلـــم أنه ينبغي للواحد منا ألا يُمعن في التشفي إذا انتصر، (قالوا أئنك لأنت يوســـف قال أنا يوسف وهذا أخي) أنا المظلوم الذي أردتم قتله، أنا الطفل الصغير الذي لم ترحموا بكاءه، أنا الذي فرقتم بينه وبين أبيه و لم ترثوا لحزنه، (أنا يوسف وهذا

أخيقد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)، اعترفوا بذنبهم العظيم وخطئهم الجسيم، لكن سأقف قليلاً الآن لنتعلم درس العفو من يوسف، أعظم درس في باب العفو والمسامحة، يوسف قدوة كل مؤمن في أن يكون أجره على الله، (قال لا تثريب عليكم اليوم) لن تجدوا عندي عقوبة لكم، بل ولا معاتبة على جريمتكم، بل ولا لوم على فعلكم، (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) دعا الله لهم أن يسامحهم، ودعوة المظلوم مستجابة؛ فجعلها لهم، (فبهداهم اقتده) أخي الكريم، جاء أبو سفيان بن الحارث يترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسامحه يوم فتح مكة، ورسول الله يقول له وهو ابن عمه:"أنت الذي طردتني كل مطرد"، فأشار علي بن أبي طالب لأبي سفيان: ائته من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)؛ فإنه لا يرضى أن يكون أحدٌ أحسن منه جوابًا، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .

أخبروه بأن أباه ذهب بصره من حزنه لفقده، والشيء إنما يعالج بضده، (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا وأتوني بأهلكم أجمعين)، ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف متوجهة إلى يعقوب عليه السلام، قيل: أن الريح استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها سبحانه، فقال الأب الكبير المحزون: (إني لأجد ريح يوسف)،

ولقد تهب لي الصبا من أرضها ... فيلذ مس هبوبكم ويطيب

قال لمن عنده: (إني لأجد ريح يوسفلولا أن تفندون)، أخبركم عن أمـــر: والله إني لأشم رائحة ولدي يوسف، أخبرتكم بذلك فلا تعنفونِ، ولا تسفهونِ، لا تقولوا: خرف أبوكم وتغير عقله، فقالوا كلمة عظيمة، قسموا عليها كاذبين، (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)، يوسف يا أبانا انتهى خبره، يوسف يـــا أبانا انقطع ذكره، لماذا لا تنساه ؟ .

أيها الأخوة: لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

أخي الكريم: لا تعذل المشتاق في أشواقه ... حتى تكون حشاك في أحشائه

وهناك في مصر، روت الإسرائيليات: أن يهوذا قال: أنا ذهبـــت بـــالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهـــب اليـــوم بالقميص وأخبره أنه حي؛ فأفرحه كما أحزنته؛ فكان هو البشير، (ألقاه علـــى وجهه فارتد بصيرًا قال ألم قال لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون)، يـــا الله، أهكذا يكون حسن الظن بالله! درس عظيم لن ننساه ما حيينا، أن الفرج مـــع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الله مع عبده ما ظن بربه خيرًا، درسٌ لـــن ننساه ما بقينا أن الكرب يزداد لينجلي، وأن الخطب يعظم لينقضي، وهنا قال أولاده الذين فرقوا بينه وبين يوسف: (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم)، قيل: أخرّهم إلى السحر؛ ليستغفر لهم الله في ساعة لا يرد فيها سائل .

ودخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف، وكلم يوسف الملك،فخرج هـــو والملوك يستقبلونهم، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على أحد أبنائه، ونظـــر

يعقوب إلى الخيل والناس، فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنك يوسف ! فلما التقى الابن بأبيه، (آوى إليه أبويه) ضم إليه أبويه، وقد يجمع الله الشتيتين بعدما،، وسكت القرآن عن تلك المشاعر والدموع والقبلات، سكت القرآن عن حرارة العناق بعد طول الفراق، وقال لهم: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) سجود تحية، وكان مشروعًا في شريعتهم، وحرمه الله علينا وأعطانا خيرًا منه؛ أعطانا السلام تحية أهل الجنة، (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) بعد عشرات السنين، قيل: أربعين أو ثمانين سنة، فلا تظن أن الرؤيا لا بد أن تتحقق من الغد، (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي): اسمع لأخلاق الأنبياء، ما ذكر إخوته بسوء؛ لأنه قال: لا تثريب عليكم، قال: وقد أحسن بي، ولم يقل أحسن إليكم، لئلا يمن على إخوته، وقال: إذ أخرجني من السجن، ولم يذكر الجب لئلا يجرح مشاعر إخوته، وقال: وجاء بكم من البدو ولم يقل: من القحط والجدب لئلا يحرج إخوته، وقال: من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، فلم يحمل إخوته ذنباً وحملها الشيطان، أعظم وربي بأخلاق الأنبياء، عباد الله الأصفياء، (إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) اسم اللطيف يتجلى في قصة يوسف، لطف به في الجب، وهو العليم بخفايا ما يعملون، ولطف به في قصر العزيز وهو العليم بكيد ما يمكرون، ولطف به في السجن، وهو العليم بتلألأ دمع المظلوم في غيابة السجون، قال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات

والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة) أنت ناصري ومتولي أموري، (توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين)، لما تكاملت عليه النعم وجُمع عنده الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه وأحب أن يلحق بآبائه الصالحين، دعا الله أن يتوفاه ويلحقه بالصالحين؛ كما دعا نبينا صلى عليه الله وسلم: "بل الرفيق الأعلى".

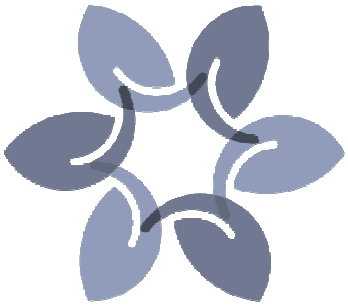
ختمت قصة يوسف وفيها العظة والعبرة: يا محمد (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)، يا محمد (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) يا محمد (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين)، يا محمد يا خير رسل الله، اصبر وإن كذبوك، تيقن وإن جحدوك (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)، رسائل من الله إلى الذين كذبوا دعاة الله: (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)، رسائل من الله إلى الدعاة الصادقين في كل مكان: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، هذه الحقيقة وإليكم الأدلة: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون)، فاصبروا يا دعاة الإسلام، فهي سنة الله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)، وانتهت القصة، وقال الله: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)، جعلنا الله وإياكم

منهم، اللهم أحيينا على الإيمان، وتوفنا على الإسلام، واجعل لنا من كل همٍ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا ..

اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيراً لنا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، برحمتك يا أرحم الراحمين!

كتاب الصيام
الأربعين الفقهية

٤



كتاب الصيام

باب وجوب صوم رمضان، ومتى يجب

قال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ؛ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِين"، أخرجه البخاري١٧٧٦ ومسلم١٧٩٦.

معاني المفردات :

صوموا لرؤيته: أي الهلال، والمراد إذا رأى الهلال منكم من يثبت وجوب الصيام برؤيته.

فإن غبي عليكم: أي سُتر عنكم وغطي، فقد يغطى بغيم أو قتر (غبار).



- **قاعـدة هذا البـاب :** قال ابن دقيق العيد كما في الإحكام ٣/١٥٥ عند شرح هذا الحديث: يدل على تعليق الحكم بالرؤية، ولا يراد بذلك رؤية كل فرد، بل مطلق الرؤية.

فلو رأوا الهلال بالعين المجردة أو بالمنظار أو بالمراصد الفلكية وجب الصيام، ولا يجب الصيام بمجرد الحساب دون رؤية، ولا يستحب الاحتياط في دخول الشهر (يوم الشك)، ولا في دخول اليوم (الإمساكية)، بل مرد الأمر للرؤية الشرعية- على ما سيأتي- .

- **وفي الحـديث مسـائل :**

١. كم عـــدة الشهادة التي يثبت بها دخول رمضان ؟

قال المالكية: برؤية عـــدلين كسائر الأحكام التي يُشترط لثبوتها تمـــام نصـــاب الشهادة: رجلان أو رجل وامرأتان، وقال الجمهور: يثبت دخول هلال رمضان برؤية عدل واحد لحديث ابن عمر قال: تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصامه، وأمر الناس بصيامه، رواه أبو داود، وهو الراجح.

٢. لو رأى هلال رمضان أهل بلد فهل يلزم سائر البلدان الموافقة ؟

قال الجمهور: يلزم سائر البلدان الإسلامية الموافقة لأنها في مقام البلـــد الواحـــد ولعموم حديث الباب:" صوموا لرؤيته"، وقال الشافعية: إذا رآه أهل بلد لم يلزم بقية البلدان الموافقة إلا من اشترك معهم في المطلع لأن اختلاف المطالع مؤثر في اختلاف الرؤية، وعلى كلٍ فالعمل الآن على اجتهاد أولياء الأمور جمعًا للكلمة ودفعًا لزيادة الفرقة.

٣. ما حكم صيـــام يوم الشـــك ؟

يوم الشك: هو يوم الثلاثين إذا كان في السماء قتر أو غيم فيشك هل هو مـــن رمضان أم من شعبان، قال المالكية والشافعية: لا يجوز صيامه، واستثنوا صـــيام التطوع والنذر والقضاء، واستدلوا بحديث أبي هريرة: لا تقدموا رمضان بصـــوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم يومًا فليصمه، متفق عليه، وقال الحنابلـــة: يجب صومه احتياطًا لما ورد عن علي وعائشة، والأقرب الأول لدلالة الحـــديث عليه.

• بـاب مـبطلات الصـوم والاعتكـاف وأحكـام أهـل الأعذار

٢٣ قال الله تـــعالى: " يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصـــيام كما كتـــب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ۞ أيامًا معـــدودات فمن كـــان مـــنكم مريضا أو على ســـفر فعـــدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقـــونه فدية طعـــام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرٌ له وأن تصـــوموا خـــير لكـــم إن كنـــتم تعـــلمون ۞ شـــهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هـــدى للناس وبينات من الهـــدى والفـــرقان فمن شـــهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على ســـفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العســـر ولتكملوا

العـــدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشـــكرون۞ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلـــهم يرشدون ۞ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفـــا عـــنكم فـــالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكـــم الخـــيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للنـــاس لعلهم يتقـــون "سورة البقـــــرة ١٨٣- ١٨٧

• معاني المفردات :

الصـــيام : في اللغة الإمساك عن الشيء، وشرعًا: هو التعبد لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

مريضـــًا : أي مرضًا يؤدي إلى التلف أو الضرر الشديد، أو زيادة في العلة، أو تأخر البرء، بدلالة آخر الآية(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)،خلافا للظاهرية الذين أباحوا الفطـــر لمطلق المرض.

فعـــدة : العدة هي الشيء المعدود، والمراد أن عليه من الأيام بقـــدر ما فاتـــه من رمضان، وفي الآية إضمار والتقـــدير: فأفطر فعـــدة من أيام أخر.

الرفث : الجماع ودواعيـــه.

تختانون: من الخيانة، والمراد: تحرك داعي الشهوة في نفـــوسهم.

عاكفـــون: أصل العكوف اللزوم، والاعتكاف: التعبد لله بلزوم المساجد لأداء القربات.

- **قاعدة هذا الباب :** قـــال ابـــن عثـــيمين رحمـــه الله في الشـــرح الممتع٦/٣٧٨: الأكل هو إدخال الشيء إلى المعدة عن طريق الفـــم.

فيدخل في ذلك: النافع أو الضار إذا دخل للجوف كالخرزة أو الدخان، ويلحق بالأكل ما في معناه: كالحقن المغـــذية وغسيل الكلى، . . . ويخرج من ذلك: دواء الغرغرة والكحل وقطرة العين، ولا يفطر الصائم إلا إذا تناول مفطرًا عالماً ذاكرًا قاصدًا.

- **وفي الآيات الكريمة مسائل:**

١. ما معنى قوله تعالى:(وعلى الذين يطيقـــونه) ؟

فيها قـــولان : ١. أن الصيام فـــُرض على التخيير، فكان من شاء صام ومـــن شاء أطعم، ثم نزلت (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فنسختها، وقـــد روى هذا البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع، وهو قـــول ابن مسعود ومعـــاذ وابن عمر وغيرهم. ٢. أن الآية غير منسوخة، وأنها نزلت في الشـــيخ الكـــبير والمرأة العجوز، وهذا مروي عن ابن عباس.

٢. كم مسافة الســـفر التي تبيح للمسافر الفطـــر ؟

للعلماء فيه أقـــوال : القـــول الأول: أن السفر المبيح للفطر ما كان مسيرة يوم وليلة: وهو قـــول الأوزاعي، لحديث:" لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليـــوم

الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محـــرم" رواه البخاري، فهذا هـــو الســـفر الذي علقـــت به الأحكام الشرعية.

القـــول الثاني : أنه مســـيرة يومين وليلتين(١٦ فرسخ) : وهـــو قـــــول الجمهور، لحديث ابن عباس" يا أهل مكة لا تقصروا في أقل من أربعة برد من مكة إلى عسفان" (ضعيف). القـــول الثالث : أنه مســـيرة ثـــلاث أيـــام بلياليها(٢٤ فرسخ): وهو قول أبي حنيفة والثوري، لحـــــديث:" لا تســـافر امرأة فـــوق ثلاث أيام إلا ومعها ذو محرم" رواه البخاري، وحـــديث:" جعل النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر؛ أي في المسح على الخفين"رواه مســـلم، قالوا: فهذا هو السفر الذي علق الشارع عليه الأحكام. وفـــعل النبي ﷺ في هذا مختلف، وكذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ فيرجع في تقـــدير حـــد السفـــر إلى العـــرف، والله أعلم.

٣. ماذا يجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا ؟

قـــول أبي حنيفة : أنه يجب عليهما إذا أفطرتا القضـــاء فـــقط، كـــالمريض، وقـــول ابن عمر وابن عباس : يجب عليهما الإطعام فـــقط، كالشيخ الكبير، وقـــول الشافعي : عليهما القضاء والإطعام، وقـــول لأحمد : إن خافتا علـــى نفسهما فكالمريض، وإن خافتا على أولادهما فكالكبـــير، والأول أقرب.

٤. ما هي المساجد التي يشرع فيها الاعتكاف ؟

قـــول حذيفة وابن المسيب: أنه لا يصح الاعتكاف إلا في المساجد الثلاثـــة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، واستدلوا بحديث حذيفة " لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة"، رواه البيهقي، وقـــول ابن مسعود وروايـــة

لمالك : لا يصح الاعتكاف إلا في مسجد جامع، لحديث عائشة " ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع"،رواه أبو داود، وقـــول الجمهور: يصح الاعتكـــاف في كل مسجد، لعموم قـــوله تعالى:(وأنتم عاكفون في المساجد)، والجمع بينهما سهل، بحمل حديث حذيفة على نفي الكمال وهو المناســـب لفضـــل هـــذه المساجد، وحديث عائشة على نفي الصحة وهو المناسب لئلا يخرج لأداء صلاة الجمعة.



تعريف الصوم، وحكمه:

الصوم في اللغة: الإمساك، وشرعًا: هو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس .

وقد فُرض الصيام في السنة الثانية للهجرة، وصام الرسول ﷺ تسع أشهر مـــن رمضان، وقد كان الصيام الواجب في أول الأمر صوم عاشـــوراء، ثم نســـخ وخيّرنا بين صوم رمضان أو الإطعام، ثم نسخ وأمرنا وجوبًا بصوم رمضان.

ودلّ على وجوبه: الكتاب؛ كقوله الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} سورة البقرة/١٨٣، والسنة؛ كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "بني الإسلام على خمس: .. وذكر صوم رمضان"، وإجماع الأمة .

وقد يكون الصوم واجبًا: لزمان؛ كصوم رمضان، أو واجبًا لعلة؛ كصوم كفارة، أو واجبًا لإيجاب المكلف؛ وهو صوم النذر .

سبب وجوبه:

ويجب الصوم بإكمال عدة شعبان؛ لما روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"، أو برؤية العدل الواحد هلال شهر رمضان؛ لما روى أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه، ولا يثبت هلال شوال إلا برؤية عدلين؛ كبقية الأشهر.

- ويصوم ويفطر مع أهل بلده، وإن رأى الهلال وحده، وردت شهادته.
- ولا حرج من استعمال المناظير والمراصد الفلكية للرؤية، ولا عبرة بحساب الفلكيين في إثبات رؤيته، ولا في اعتبار ولادة الهلال على الأصح، ويدل على ذلك حديث ابنعمررضياللهعنهماعنالنبيﷺقال:

"إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا"؛ يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين، متفق عليه .

- ولا يحل صيام يوم الشك احتياطًا لرمضان؛ لحديث عمار ﷺ قال: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ، رواه الأربعة، وضابط يوم الشك: هو يوم الثلاثين من شعبان إذا كان في السماء قتر أو غيم، ولا يستثنى من صيامه إلا لمن كانت له عادة من صوم نفل؛ لحديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومًا فليصم ذلك اليوم".

وهل إذا رآه أهل بلد لزم سائر البلاد الموافقة ؟ .

(١) قال الجمهور: نعم؛ لقوله ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته".

(٢) وذهب الشافعية إلى أنه لا يلزم إلا من كان على نفس مطلع مجال الرؤية؛ لاختلاف مطالع الأهلة بين البلاد .

والأقرب أن يعمل أهل كل بلد إسلامي بما رآه ولاة أمورهم؛ لئلا تزداد الفرقة، ورعايا الجالية الإسلامية في بلاد الكفار على ما رآه المجلس الإسلامي فيها.

ويتبع البلد الذي انتقل إليه صومًا وفطرًا، ولو ترتب على ذلك أن يصوم واحدًا وثلاثين يومًا، أو ثمانية وعشرين يومًا، ويقضي في الناقص يومًا .

شروط وجوبه:

ويجب الصوم بتوفر شروطه الثلاثة، وهي:

(١) الإسلام، وهو شرعًا الانقياد للأحكام الشرعية؛ فلا يجب الصيام على الكافر الأصلي بالإجماع؛ لأنه ليس أهلاً للعبادة؛ لفقده شرطها؛ وهو النية، والنية لا تصح إلا بشرطها؛ وهو الإسلام.

(٢) والبلوغ، وضابطه: حصول أحد ثلاثة: الاحتلام بخروج المني، أو رؤية دم الحيض بالنسبة للأنثى، أو استكمال خمس عشرة سنة قمرية.

(٣) والعقل، وهو صفة يميز بها بين الحسن والقبيح، ودليلهما حديث علي ﷺ عند أبي داود وغيره أن النبي ﷺ قال: "رُفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل".

والمغمى عليه فإن أفاق لحظة من النهار صح صومه، وإلا فلا .



وانتفاء موانعه الستة، وهي:

(١) المرض، الذي يبيح التيمم؛ بأن يخاف إن صام أن يشتد المرض، أو يتأخر البرء، أو يجد ألماً شديدًا .

(٢) والسفر الذي يبيح القصر، ولو لم يشق، وهو ما لا يقل عن سير مرحلتين معتدلين بسير الأثقال (ويساوي ٨٣ كم فأكثر)؛ لقوله تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}البقرة/١٨٤.

(٣) والحيض؛ وهو الدم الخارج من أقصى رحم المرأة على سبيل الصحة، لحديث أبي سعيد ﷺ في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم".

(٤) والنفاس، وهو الدم الخارج عقب الولادة؛ قياسًا على الحيض بالإجماع .

(٥) والحمل.

(٦) والإرضاع؛ لحديث أنس بن مالك الكعبيﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى"، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

- وصوم غير حائض ونفساء جائز؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة، متفق عليه، وحديثها رضي الله عنها في الصحيحين أن حمزة الأسلمي قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام، فقال: "إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر".

وأيهما أفضل للمسافر الفطر أم الصوم؟ .

(١) قال الجمهور: الصوم أفضل؛ لأنه أبرأ للذمة.

(٢) وقال الحنابلة: الفطر أفضل؛ لأنه رخصة، وفي الحديث: "إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"، رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والأقرب هو أن أفضلهما أيسرهما، وهو قول جماعة من التابعين، فقد كان النبي ﷺ يصوم في السفر، وكان أيضًا ينكر على من يصوم في السفر صومًا يشق به

على نفسه، بل قال عنهم: "أولئك العصاة"، أخرجه مسلم، وقال "ذهب المفطرون اليوم بالأجر"، متفق عليه .

- ومن كان سفرهم مستمرًا، ولهم أهل ومكان يرجعون إليه؛ كسائقي سيارات الأجرة والطائرات، ومضيفيها جاز لهم الفطر، ويلزمهم القضاء .

ومتى وجد الشرط في نهار رمضان لزم الإمساك ولا قضاء، فالكافر والصغير والمجنون ليس عليهم إمساك ولا قضاء، ومتى زال المانع في نهار رمضان لم يلزم الإمساك، ولزم القضاء لمن قدر؛ كامرأة طهرت، ورجل شفي أو وصل إلى بلده، وإلا أطعم عن كل يوم مسكينًا؛ ككبيرٍ ومريض لا يرجى برؤه؛ لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}البقرة/١٨٤، قال: ليست منسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكينًا.

- وللإطعام طريقتان: إما أن يصنع وجبة مشبعة ويدعو لها المساكين؛ كفعل أنس ﷺ، أو يخرج عن كل يوم مد، يملكه المساكين، ويقدر المد بـ ٦٠٠ جرام من القوت المعتاد .
- وللإطعام وقتان: إما أن يطعم كل يومٍ في يومه، أو يؤخرها لآخر الشهر ثم يخرجها؛ لفعل أنس ﷺ.

واختلف أهل العلم في حكم الحامل والمرضع إن أفطرتا على أقوال:

(١) فذهب الأحناف: أنهما يصومان؛ كالمسافر.

(٢) وذهب بعضهم، وهو قول ابن عباس وابن عمر: أنهما يطعمان؛ كالكبير؛ لعدم إمكان القضاء في نفس السنة.

(٣) وقال الشافعية والحنابلة: إن كانتا خافتا على أنفسهما قضتا، وإن خافتا على ولدهما قضتا وأطعمتا، والله أعلم .

وقت الصوم :

والعبرة في ابتداء صوم اليوم تبين الفجر الصادق، لا الاحتياط، بل يسن تأخير السحور، لحديث أنس ﷺ في الصحيحين أن زيد بن ثابت ﷺ قال: تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية، ويحصل فضله ولو بجرعة ماء .

وفي انتهائه غروب حاجب الشمس الأعلى، ويستحب عنده تعجيل الفطر؛ لما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"، ويستحب الإفطار على تمر؛ فإن لم يجد فماء؛ لحديث أنس ﷺ عند أبي داود والترمذي قال: كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء .

- وله أن يعتمد على خبر العدل؛ كإذاعة، وكذا التقاويم المعتمدة.
- ولو تأخر غروب الشمس ببلدٍ انتظره، ولو طال النهار، ما دام أن لهم نهارًا وليلاً في أربع وعشرين ساعة، وإلا تبعوا أقرب بلدٍ إليهم ذات يومٍ معتاد.

- والمسافر بالطائرة يعمل بالرؤية، فإن غمّ عليه عمل بغالب ظنه، ومن كان في بلد فغربت الشمس أفطر، فإن أقلعت الطائرة فرأى الشمس لم يلزمه الإمساك.

أركان الصوم:

وللصوم ركنان:

الركن الأول: نية الصوم، ويجب عقدها قبل طلوع الفجر في صيام الفرض؛ لعموم حديث عمر رضي الله عنهما: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"، ولحديث حفصة رضي الله عنها عند الأربعة واختلف في رفعه ووقفه: "من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له" .

أما صيام النفل فلا يشترط تبييت نيته من الليل، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: "هل عندكم شيء؟"، فقلنا: لا، فقال: "فإني إذن صائم"، أخرجه مسلم.

- ومن أغمي عليه سائر النهار فسد صومه، ومنه المخدر تخديرًا كاملاً، لا تخديرًا موضعيًا.

والركن الثاني: الإمساك عن المفطرات، **والمفطرات أمران:**

الأول: الأكل والشرب؛ لقوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل)، ويلحق بهما:

أ- أن تكون المادة في معنى الأكل والشرب، ويتضمن ذلك أمرين:

١- كل ما له جرم، فلا يُفطر الطيب، والتنفس من إسطوانات الأكسجين، وغازات التخدير.

٢- ويحصل به من القوة والنشاط ما يحصل بالطعام والشراب، فلا تُفطر الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان، والحقن العلاجية؛ كإبر الأنسولين لمرضى السكر، وإبر التطعيم، وسائر المضادات الحيوية، والمحاليل والتحاميل المطهرة.

ب- أن يحصل للمادة في الجسم ما يحصل لما يؤكل ويشرب، ويتضمن ذلك أمرين:

١- أن يمتصها الجسم، فلا يفطر منظار المعدة والشرج وأنبوب القسطرة في الأصح، ما لم يكن معها مادة يمتصها الجسم .

٢- أن تصل إلى الجوف، فلا تُفطر الدهانات والمراهم واللصقات العلاجية، والمكياج، ومرطب الشفاه، ولا الحقن في العضل، وتحت الجلد، ولا الغسول المهبلي والتحاميل المهبلية، ولا ما يدخل عبر مجرى البول، وكذا الغرغرة، واستعمال معجون الأسنان، وحشو السن، وقطرة العين والأذن، ما لم يصل شيء منها إلى الجوف.

ويستثنى وصول الشيء اليسير جدًا للجوف؛ كالمتبقي بعد المضمضة، والمواد الكميائية في عود السواك، ومنه بخاخ الربو، وفي الواصل للجوف بقطرة الأنف خلاف .

- ومن المفطرات التي توفرت فيها الشروط السابقة: الحقن المغذية الوريدية والشرجية، والقرب ذات المحاليل المغذية، والمواد الغذائية المضافة مع الغسيل الكلوي أو مع حقن الدم في الجسد، وشرب الدخان .

والمفطر الثاني: الجماع؛ ويحصل بإدخال الحشفة في الفرج؛ لقوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)، إلى قوله: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل)، ويلحق به الاستمناء في الأصح، دون المباشرة والتقبيل والإمذاء والاحتلام.

واختلف أهل العلم في مفطرين:

الأول: القيء عمداً، وضابطه: إفراغ ما في الجوف، وقد دلّ على كونه مفطرًا حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقضِ"، رواه الأربعة، وقد اختلف في صحته، فمن صحح الحديث قال بأن تعمد القيء مفطر، وهو قول الجمهور .

والثاني: الحجامة، وضابطها: إخراج الدم الفاسد من الجسد بالوخز أو الفصد، وفيها ثلاثة أقوال:

(١) مذهب الحنابلة: أن الحجامة مفطرة؛ لحديث ثوبان ﷺ عند الخمسة إلا الترمذي: "أفطر الحاجم والمحجوم".

(٢) وقال الحنفية: الحجامة ليست مفطرة؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم، رواه البخاري.

(٣) وقال الجمهور: الحجامة مكروهة؛ جمعًا بين الحديثين، وهو الأقرب، والله أعلم .

- وعليه فليس من المفطرات ما خرج من الجسم؛ كأخذ عينات من الجسم، أو دم للتحليل، أو جرح، ولو أضعف الصائم؛ كالحجامة، والتبرع بالدم .
- والأصل فيما يُشَكُّ فيه بقاء الصيام، ولا يفطر من تناول مفطـــرًا إلا إذا كان:

– عالماً، فيشترط أن يكون عالماً بالحكم والحال؛ فمن جهل الحكم؛ كمن لم يعلم أن قطر الأنف مفطرة لا قضاء عليه، ومن جهل الحال؛ كمن أكل ظانـــاً بقاء الليل فلا قضاء عليه.

– ذاكرًا لصومه، لا ناسيًا؛ لما روى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن الـــنبي ﷺ قال: "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صـــومه؛ فإنمـــا أطعمـــه الله وسقاه" .

– قاصدًا لتناوله، لا مكرهًا أو مغلوبًا عليه؛ كمن طار إلى حلقـــه ذبـــاب أو دخان؛ لحديث ثوبان ﷺ عند الطبراني أن النبي ﷺ قال: "رفع عن أمتي الخطـــأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، بخلاف من تعمد استنشاق البخور، ونحوه .

ويحرم الوِصال، وضابط الوصال: أن يترك الفطر والسحور حتى يتصل صومه ليلاً ونهارًا، وقد دلّ على حرمته حديث عائشة رضي الله عنها في المتفق عليـــه أن النبي ﷺ نهى عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، فقال: "إني لست كهيئتكم، إني يطعمني الله ويسقين"، وأجاز الحنابلة الوصال إلى السحر لحديث

أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا تواصلوا، وأيّكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر"، رواه البخاري .

أحكام من أفطر:

- ومن أفطر بالأكل أو بالشرب بعذر، و لم يقضِ لاستمرار العذر حتى مات لم يلزمه شيء.
- فإن زال العذر و لم يقضِ لغير عذر حتى دخل رمضان الآخر لزمه القضاء بعد رمضان، والإطعام على قول.
- فإن مات و لم يقضِ لغير عذر استحب لوليه أن يصوم عنه؛ لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه" .
- ومن أفطر لغير عذر لم يجزئه القضاء على الصحيح.
- ومن أفطر بجماع لزمته التوبة، وإمساك بقية اليوم، وقضاء يوم مكانه، **والكفارة:** وهي عتق رقبة، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين، فإن عجز فإطعام ستين مسكينًا، ولكل يومٍ أفسده بجماع كفارة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، هلكت، قال:"مالك ؟"، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: "هل تجد رقبة تعتقها ؟"، قال: لا، قال: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟"،

قال: لا، قال: "هل تجد إطعام ستين مسكينًا ؟"، قال: لا، قال: "اجلـــس .. الحديث.

وهل على المرأة كفارة ؟، قولان، أقربهما لا؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر زوجة المجامع في رمضان بذلك، ولأنه حق مالي تعلق بالجماع؛ فأشبه المهر .

الصيام المستحب والمحرم والمكروه:

وأفضل الصيام:

- صوم يومٍ وإفطار يوم؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أحبالصيامإلىاللهصيامداود،كانيصوميومًاويفطريومًا"، متفق عليه.
- ومحرم؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم".
- وشعبان؛ لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالـــت: و لم أره رضي الله عنه صائمًا من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كلـــه، كان يصوم شعبان إلا قليلاً، وسئل رسولنا عليه الصلاة والسلام عن صيام شعبان فقال: "ذاك شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شـــهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم"، رواه النسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

- وعرفة لغير حاج؛ لحديث أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده"، رواه مسلم.
- وعاشوراء؛ لحديث أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"، رواه الترمذي، وتاسوعاء؛ قصدًا لمخالفة اليهود الذين يصومون عاشوراء.
- والأيام البيض؛ لحديث قدامة بن ملحان ﷺقال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، وقال: "وهو كهيئة الدهر"، رواه أبو داود والنسائي.
- والاثنين والخميس؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس، رواه النسائي وابن ماجه والترمذي، وسئل ﷺ عن صيامهما فقال: "ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم"، رواه أبو داود والنسائي، وصوم الاثنين أفضل من صوم يوم الخميس لما جاء في فضله أيضًا: "ذلك يوم ولدت فيه، وبعثت فيه، وأنزل علي فيه"، رواه مسلم .
- وستّ شوال؛ لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصوم الدهر".
- وتسع ذي الحجة؛ لما روى أبو داود عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة .. الحديث.

- ومن صام تطوعًا، فأفطر فلا قضاء عليه، ويُكره له قطعه بغير عذر .

ويحرم صوم:

(١) الدهر؛ لما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: "لا صام من صام الأبد"، وقد حمله الجمهور على الكراهة، والظاهر التحريم .

(٢) ويوم عيد الفطر، وعيد الأضحى؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: نهى عن صوم يومين يوم الفطر ويوم الأضحى، متفق عليه.

(٣) وأيام التشريق لغير متمتع لم يجد الهدي، وهي يوم الحادي والثاني والثالث عشر من شهر ذي الحجة، وسميت بذلك لأنهم كانوا يشرقون اللحم ويعرضونه للشمس، وتسمى أيضًا الأيام المعدودات، ولا يجوز صيامها إلا لمن لم يجد الهدي؛ لحديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي، رواه البخاري .

ويكره إفراد الجمعة؛ لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يومًا قبله أو بعده".



حقيقة الصوم :

وحقيقة الصوم تحقيق التقوى؛ بفعل الأوامر والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات؛ لقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما

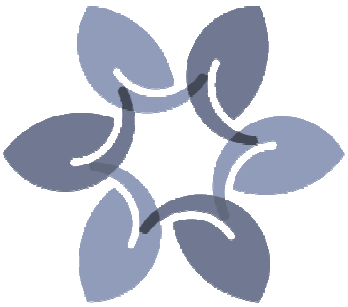
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)، ولما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من لم يدع قول الزور، والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"، ويجتهد ندبًا حال صومه في تدبر القرآن، والصدقة، والدعاء، والاعتكاف، وهو لزوم المسجد للخلوة بطاعة الله تعالى فيه:

- ويشترط كونه جامعًا في الأصح، وأفضله في المساجد الثلاثة.
- وفي العشر الأواخر من رمضان؛ لمداومتهﷺ عليه، وأقله ليلة في الأصح؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين أن عمر ﷺسأل النبي ﷺ قال: كنتُ نذرتُ في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ قال: "فأوفِ بنذرك"، ولم يشترط لليلة صوم بعدها.
- ولا يخرج من المسجد إلا لما لا بدّ له منه؛ كقضاء حاجة، ولا يباشر امرأته، ولا يجامعها، دلّ على ذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود قالت: السنة على المعتكف أن لا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع؛ فإن جامعها بطل اعتكافه؛ لمخالفته لقوله تعالى: {وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}البقرة/١٨٧.



الخطب المنبرية الرمضانية

٥



عناوين الخطب :

١- كيف أصوم من اللغو ؟

٢- كيف أصوم من الرفث ؟

٣- تكريم الله لحفظة كتابه .

٤- آيات للمتصدقين .

الخطبة (١) كيف أصوم من اللغو ؟

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

أما بعد عباد الله :

فإن خير الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

معاشر المؤمنين :

جاء هذا الدين ليكمل في المسلم آدابه وأخلاقه، ليصلح فيه فكره واعتقـــاده ، ليربي فيه معاملاته وعبادته على الوجه الذي يرضي ربنا سبحانه وتعالى، وجاء هذا الصوم ليصب في هذه الترقية الإيمانية العظيمة فلا يخرج الصائم من صومه إلا وقد اكتسب جميل الأخلاق، وجليل العبادات وكريم العقائد .

أيها المؤمنون عباد الله :

إن من المقاصد الرمضانية العظيمة للصوم أن يرتقي الصوم بمستوى عبادتك وخلقك وأدبك وعلاقتك بالله ، فتصوم صومًا عن اللغو والرفث .

أيها المؤمنون عباد الله :

كيف يصوم أحدنا عن اللغو ؟ وما هو اللغو أصلا ؟ وقبل ذلك هل جاء الحث والأمر المؤكد بترك اللغو .

أيها الصائم :

إنها الدرجات العالية في الاتقاء بصومك في حفظه وحراسته عن كل ما يقدح فيه أو يخدش في أجره ، أن تصوم عن اللغو فهل جاء أمر أو حث على ذلك لا يخفى على أمثالكم من التالين للقرآن وهم يقرءون في سورة المؤمنين في وصف الله سبحانه لعباده المؤمنين يقول ربي سبحانه في ثاني صفة وصفها عباده فوصفهم بالإيمان وعلق عليه الفلاح ثم قال سبحانه في تعداد صفاتهم (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) فإذا كانت هذه هي صفة المؤمن الذي يستحق الفلاح فإن هذه هي صفة رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال عبدالله بن أوفى فيما رواه النسائي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو) فاسأل نفسك يا صائم هل أنت ممن يقل اللغو ؟ كم حجم اللغو في صيامك ؟ كمرة لغوت في ساعة صومك ؟

أيها المؤمنون عباد الله :

إن العبادة إذا ارتبطت بهذه المعاني العظيمة عظُم عند الله أجرها، تأمل أخي المبارك صلاة صليتها واجتنبت اللغو فيها ، ما الذي سيحصل لصلاتك ولأجرها، في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : (وصلاة في إثر صلاة ليس بينهن لغو كتاب في عليين) أخرجه أبو داود ، هذا هو الشرط وذاك هو الأجر ، الشرط ألا تجعل بين الصلاتين لغو، ما الذي سيحدث لعظيم أجرك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : كتاب في عليين .

وإذا كان هذا هو أجر الصلاة التي اجتنبت فيها اللغو فإن سائر العبادات كذلك، تأملوا في أجر الطواف وهي هدية لكم أيها المعتمرين في هذا الشهر الكريم يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من طاف بالبيت أسبوعًا – أي سبعة أشواط – لا يلغو فيه كان كعدل رقبة يعتقها) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

العبادات يعظم أجرها، ويكبر عن الله قدرها، كلما اجتنبت فيها اللغو ، وإذا كان هذا في سائر العبادات فإن الصوم أخص أن تترك فيه اللغو ، بيَّنها واضحة صلى الله عليه وسلم ورواها ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قالها صلى الله عليه وسلم : (ليس الصيام من الأكل والشرب – في رواية فقط – إنما الصيام – أي الذي يعظم أجره وتحصل بركته –عن اللغو الرفث، فإذا سُبَّ أحدكم أو جهل عليه فليقل إني صائم إني صائم) هكذا يعظم صومك، هكذا يحصل أجرك، هكذا لا تخدش صيامك ، انتبه من اللغو ...

- يا صائم قال ابن حبان باب ذكر الزجر أن يخدش المسلم صومه بما ليس لله طاعة من قول أو فعل معًا .

ثم ذكر الحديث العظيم المخيف الذي يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من أمرٍ تساهلنا فيه ، حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (رُبَّ قائم ليس له من صيامه إلا السهر ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع) .

إذن ما هو اللغو الذي دعينا لتركه وحذرنا من الوقوع فيه ؟

- قال الحسن (اللغو هو المعاصي كلها)
- وقال الشوكاني رحمه الله (اللغو كل ساقط من قول أو فعل) أي كل شيء تافه تقوله أو تفعله يعتبر لغو يا مسلم فانتبه على صومك .
- وقال ابن سعدي في تفسيره (اللغو كل كلام لا خير فيه وليست فيه فائدة دينية ولا دنيوية) .

وعاد السؤال مرة أخرى صيام أيام مضت كم سجَّلت فيه من اللغو ؟

كم تكلمت بكلام في صيامك لا فائدة فيه لا في دين ولا دنيا ؟

- تعاهدوا صومكم من اللغو فيما بقي يا عباد الله ، تأملوا معنا كيف صور القرآن والسنة صور اللغو حتى نكون على بينة ووضوح قال ربنا سبحانه في صورة من صور اللغو (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) ما هو اللغو في اليمين ؟
- قالت عائشة رضي الله عنها :أن يقول الرجل لا والله بلى والله . رواه البخاري

بقول كلمة لا يقصدها (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) كلمة دون قصد ،هذه تعتبر لغو ، لماذا تتكلم بكلمة لا قصد فيها حسن ،لم تقصدها و لم تتعمدها تجري على لسانك (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) إما كلمة فيها فائدة في دين أو دنيا وإلا خيِّط فمك وأمسك لسانك، هكذا يربِّينا الصيام لا نفعل إلا ما فيه مصلحة، ولا نتكلم إلا بما فيه فائدة؛ وإلا اشتغل بذكر الله يا صائم .

- أتدري كيف عرَّف رسولنا صلى الله عليه وسلم اللغو ؟
- ذكر ضابطاً واضحًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – يبيِّن لنا هذه المسألة لأهميتها ((كل شيء – أي من كلام أو قول، مرِّر كلامك على هذا الضابط النبوي – ليس فيه ذكر الله تعالى فهو لغو وسهو ولعب إلا أربع خصال : ملاعبة الرجل زوجته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين – أي بين هدفي الرماية ليتعلم القوة ويدافع عن دينه وعن نفسه وعرضه–، وتعليم الرجل السباحة)) أي شيء ليس فيه فائدة دينية ولا دنيوية فهو لغو؛ فعدُّوا لأنفسكم ، كم لغوت في صومك يا صائم ؟
- تأملوا صوراً أخرى للغو حتى نفهم هذه المسألة المهمة ونسعى في تجنبها معاشر الصائمين وفقنا الله وإياكم للصيام والقيام على ما يرضي الله .
- من تلك صورة لغو تظهر في الجمع، والخطيب يخطب والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (من مسَّ الحصى فقد لغى) رواه مسلم .



ترى الخطيب يخطب والسامع يخطط في السجاد، وهو يعبث بشيء في يده، لماذا تفعل هذا الفعل الذي لا فائدة فيه ؟ هذا لغو وفي الحديث (ومن لغى فلا جمعة له) .

- لا إله إلا الله ما أقبح اللغو ! إذا تركته عظُم أجر الصلاة والصوم، وإذا فعلته بطل أجر الجمعة.
- وهاكم صورة أخرى من صور اللغو في يوم الجمعة؛ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت) مع أنه أمر بمعروف وعند جمعٍ من العلماء هو نهي عن منكر؛ لكنك فعلت شيئًا فيه فائدة وضيَّعت شيئًا فيه فائدة أعظم منه .

هكذا يربنا الاسلام أن لا نفعل إلا ما فيه فائدة، بل لا نترك فعل ما فيه فائدة أعظم لأجل فعل ما فيه فائدة أقل وهكذا يتربى المسلمون على أخلاق الاسلام؛ وأحقُّ من يتربى على ذلك هو الصائم وقد دخلتم مدرسة الصوم فتربوا يا عباد الله على ترك اللغو في صيامكم .

- إن من صور اللغو في رمضان وغير رمضان أن تجد الناس يشتغلون بأخبار السياسة فيما لا فائدة تعود عليهم فيه؛ وإنما يتكلم لمجرَّد الكلام وتضييع الوقت وتجاذب الحديث، يتكلمون في أمر الدنيا والمعاش بما لا فائدة فيه ولا ينكرون منكرًا ولا يأمرون بعروف ولا يمنعون ظلمًا ولا فسقًا ولا غشًّا إنما مجرد كلام يتكلمون به فهذا لغو ، يتكلمون في أخبار الناس فلان ذهب فلان خرج فلان طلَّق هذا إن لم يدخل في الغيبة فهو لغو، وانظر كم ينتشر في تفاطيرنا في هذه الأيام الشريفة من مجالس اللغو ؟ ويبدأ فلان يتكلم والكل

يسمع ويشجع ويتابع، وماذا استفدنا من كلام فلان ؟ قاموا من مجلس لغو بامتياز؛ لغو من الدرجة الأولى ، أيُّ شيء هذا يا صائم ؟ كيف نجعل معاشر الموحدين تفاطيرنا على ما يرضي الله ؟ يذكر فيها الله، يتكلم إنسان بكـــلام نافع في أمورنا في الدنيا من صحة أو معاش، أو أعظم من ذلك يتكلم في فقه الدين ، أما اللغو فليس هذا بسيما المؤمنين .

- من صور اللغو تلك التي تظهر على وسائل التواصل الاجتماعي؛ قائمة طويلة من الدردشات يتابعها كلها أو جلُّها، وكثير منها لغو قرأها وتابعها وأضاع وقته، كم فيها من فائدة يا عبد الله ؟ لماذا تشترك في مجموعات ليس فيها إلا اللغو ؟ انتبه لوقتك يا صائم، رحم الله امرأً ما فتح هذه الوسائل إلا لشـــيء ينفع نفسه به أو تركها في رمضان .
- من صور اللغو العظيمة الكلام في متابعة اللعب والمباريات، هذه إن لم تدخل في الفسوق لن تخرج من اللغو أبدًا؛ وتعظم مبيعات محلات الألعاب في شهر رمضان لأنهم صائمون يريدون يلعبون ! فعلهم هذا إن سلم من الغيبة والإثم والغش لن يسلم من اللغو، يا صائم ارتقِ بنفسك في شهر العبادة، يكفينـــا سنة أخذناها في اللعب؛ لنرتقِ بأنفسنا إلى معالي الأخلاق ونخرج من هـــذا الصيام وقد ارتقينا بأن لا نقضي الوقت إلا في شيء نافع .
- أيها المسلمون عباد الله :
- إذا كانت هذه فضائل الذين صاموا وتركوا اللغو هنيئا لهم، وإذا كذلك هذا الأمر الذي دعينا له
- فكيف يربي الصائم نفسه على ترك اللغو ؟

دعونا نتعلم لأنه ما منَّا أحد يسلم، لكن شتان ما بين صائم وصـــائم، أدلُّـــك أخي الكريم على أربع أمور ، اسعى في تربية نفسك عليها وبإذن الله يقِلُّ لغوك :

أولها : هدي الرسول صلى الله عليه وسلم : كان يكثر الذكر ويُقِلُّ اللغو، إذا شغلت نفسك بالذكر وما فيه فائدة منعت نفسك أن تشتغل بالحرام وبما ليس فيه فائدة، وقتك إن شغلته بما ينفعك وإلا شغلته بما يضرك؛ لذلك أكثر مـــن الذكر ونوِّعه ونوِّع العبادات ونوِّع ما فيه فائدة؛ حتى لا تملُّ هذا النفس وتبقى من خير إلى خير، فلا تشتغل باللعب واللغو؛ لأنها اشـــتغلت بمعـــالي الامـــور وتنوَّعت عندها فهانت عليها ، اقرأ قرآن فإن وجدت في نفسك شيء فقـــم فصلِّ، ثم اسعى في صدقة فإن تعبت من ذلك وكللت اذهب فصل رحمـــك، واجلس مع أقاربك وعماتك وخالاتك فإن وجدت شيء فاذهب لزيارة مقبرة أو زيارة مريض فإن وجدت شيء فسبِّح واذكر واحمد وصلِّ خلـــف الإمـــام واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا، لا تجعل شيئًا من وقتك ضائعاً في أمر لا فائدة فيه .

وثانيها : راقب نفسك (قَدْأَفْلَحَمَنْزَكَّاهَا*وَقَدْخَابَمَنْدَسَّاهَا) ومن جهاد المراقبـــة ما سمعت في الحديث(صلاة إثر صلاة ليس بينهن لغو كتاب في علـــيين) كـــم كتاب في عليين حصلت عليه ؟ كم استطعت أن تمرِّر صلاة بعد صلاة دون أن تلغو بينهنَّ ؟ وهذا هو السباق يا صائم، ربِّ نفسك على هذه التربية والله لن يخرج هذا الشهر الكريم إلا وقد ارتقيت في حسناتك وارتقيـــت عنـــد الله في صالحاتك .

وثالثها : ركِّز على ما ينفعك ولا تشوش نفسك باللغو (الَّذِينَهُمْفِيصَلَاتِهِمْخَاشِعُونَ*وَالَّذِينَهُمْعَنِاللَّغْوِمُعْرِضُونَ) من أعرض عن اللغو استطاع أن يخشع في صلاته، ركِّز في العبادة، اجتنب كل شيء يشغلك عنها، جمعتكم هذه قال صلى الله عليه وسلم يحضرها ثلاثة نفر : نفر يلغو فهذا حظُّه منها، ونفر يدعو فهو رجل سأل الله فهو إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضر بسكوت وإنصات – ترك اللغو في الأقوال – و لم يتخطَّى رقبة و لم يؤذي أحداً – ترك اللغو في الأفعال – فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام) انظر لهذا الأجر العظيم يوم أن تحرص أن لا تقع في لغو، نحن نعرف أن كثيراً من الأعمال تغفر ما مضى من الذنوب (من صام رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه) (ومن قام رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه) أما هذا العمل العجيب فيه أنه يعطيك مغفرة لاحقة؛ لأنك تعلمت ونجحت أن تتقن حضور جمعة دون أن تقع في لغو في قول أو فعل .

ورابعها : انتبهوا من مجالس اللغو ومن وسائل اللغو قال ربي سبحانه (وَالَّذِينَلَايَشْهَدُونَالزُّورَوَإِذَامَرُّوابِاللَّغْوِمَرُّواكِرَامًا)قال ابن كثير : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم .

إذا كان مجلس لغو مر سريعًا ولا تجلس فيه، إياك أن تقعد أو تتابع وسائله، ابتعد وسترتاح، لو جلست ستعاني من اللغو الذي تسمع .

فالمؤمن إذا سمع كلامًا من اللغو قام مباشرة من المجلس وأعرض عن السماع (وَإِذَاسَمِعُواااللَّغْوَأَعْرَضُواعَنْهُوَقَالُوالَنَاأَعْمَالُنَاوَلَكُمْأَعْمَالُكُمْسَلَامٌعَلَيْكُمْلَانَبْتَغِيالْجَاهِلِينَ)

اللهم تقبل صلاتنا وصيامنا ، وأعنا يا ربنا على ما يرضيك قلتم مـــا سمعـــتم واستغفروه يغفر لكم غنه هو الغفور الرحيم



الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه والشكر لله على توفيقه وامتنانه أحمـــد ربي ســـبحانه تعظيماً لشأنه وأصلي وأسلم على رسولنا الداعي إلى رضـــوانه وعلـــى آلـــه وأصحابه ومن تبعهم فإحسان إلى يوم الدين :

اللهم كما بلغتنا هذه الشهر وأيامه اللهم فبلغنا صيامه وقيامه ، اللهم تقبله منا على الوجه الذي يرضيك عنا يا رب العالمين .

أيها الاخوة في الله :

ومن منَّا يسلم من اللغو ؟ يقع المسلم في اللغو في صومه .

- فكيف تكفر اللغو إذا وقعت فيه؛ ليرفع صومك إلى الله لا لغو فيه ؟

أدلك وأدل نفسي على ثلاث مكفِّرات للغو فاحرص عليها ، دلَّنا عليها رسولنا وإمامنا محمد صلى الله عليه وسلم :

١- كفارة المجلس : تكفِّر ما كان في مجلسك هذا من لغو (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) إياك أن تقوم حتى تأتي بها، لا يشغلك الشيطان أو أحد من المتكلمين .

٢- الإكثار من الصدقة طريقة ثانية لمحو اللغو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوا بيعكم بالصدقة) .

٣- خاصة بالصائمين؛ لأنه من المؤكد في الصوم أن تترك اللغو، فإذا خرج رمضان فلا تنقضي ليالي هذا الشهر ولا تحضرنَّ صلاة العيد إلا وقد أخرجت زكاة الفطر، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر؛ طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين) رواه أبو داود

اللهم بلغتنا رمضان وسلمتنا رمضان اللهم فتسلَّمه من متقبلاً يا ربَّ العالمين ، اللهم اجعلنا ممن أدرك رمضان فغفر ذنبه وعتقت رقبته ورفعت درجته يا رب العالمين ، اللهم طهرنا من اللغو والرفث يا رب العالمين ، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وصالحتنا ...



الخطبة (٢) كيف أصوم من الرفث ؟

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أما بعد عباد الله :

فما زال المسلم يبحث عن تقوى الله حق التقوى ليموت على الاسلام ، وشهر رمضـــــــــان شـــــــــهر يعلمنـــــــــا التقـــــــــوى (يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواكُتِبَعَلَيْكُمُالصِّيَامُكَمَاكُتِبَعَلَىالَّذِينَمِنْقَبْلِكُمْلَعَلَّكُمْتَتَّقُونَ) مدرســـة الصوم تهذب الأخلاق، وتعدِّل العادات، وتوجِّه السلوك، وتضبط الانفعالات؛ فهنيئًا لصائم صام فرقت أخلاقه، وتهذبت آدابه، وصفت نفســـه، وجـــادت عطيته.

ومع مدرسة الصوم كنت معكم أحدثكم في خطبتنا الماضية كيف نصوم عن اللغو؟ وأحدثكم في خطبتنا هذه، كيف نصوم عن الرفث ؟ فكيف نتقي الرفث ؟ وما هو الرفث أصلا ؟ وهل من الأهمية بمكان أن نحرص معاشر العابدين الصائمين على ترك الرفث ؟

أيها الاخ الكريم :

استشعر أهمية الموضوع ورسولك صلى الله عليه وسلم يذكر عبادة عظيمة؛ وهي عبادة الحج؛ أنفق ماله، ترك عياله، ترك كثيرًا من العوائد التي اعتاد عليه من الترفُّه، أضحى في الشمس بلا غطاء على رأسه، سار في تلك الفجاج حاجًّا لله، ومع هذا العمل العظيم اشترط هذا الشرط ليتحقق الأجر الكبير، قالها صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة :(من حجَّ فلم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وشرطها أن لا يرفث في حجِّه؛ الحج مدرسة تعلِّمُك في مناسكها وأيامها أن ترك الرفث (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)

وإذا كان هذا هو توجيه الله لمعاشر الحجاج؛ فإنَّ هذا هو نفس توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاشر الصائمين قالها صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة:(إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب - والصخب هو الغضب والصياح على الناس - ...) اعتني في صومك بما وجَّهك رسول الله صلى الله عليه وسلم، اعتني أن تترك الرفث، الصوم من الرفث مهم، مدرسة الصوم تعلمك كيف تترك الرفث

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الصيام من الأكل والشرب – في رواية فقط – إنما الصيام – أي الذي يحبه الله، الذي يؤجر عليه الإنسان بالأجر العظيم – من اللغو والرفث) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسند صحيح .

- ها هو الصوم من الرفث، فما أعظم أجر من ترك الرفث في عباداته؛ هكذا تُكتَب الأجور في صيامكم يا عباد الله؛ فإنما الصيام من اللغو والرفث؛
- فما هو هذا الرفث الذي نهينا عنه ؟

١- من العلماء من قال : الرفث هو الجماع، قال ابن عباس - ترجمان القرآن – رضي الله عنه- : الرفث هو الجماع لكن الله كريم يكني . فاحذر في يوم صومك أن تجامع امرأتك، احذر كل الحذر من الجماع في نهار رمضان وأنت صائم، إياك أن تتهاون في هذا أو في أسبابه إن كنت تخشى فابتعد عنه ولو أن تنام أنت في غرفة وهي في غرفة، السلامة لا يعدلها شيء، خصوصًا في شباب ما طعموا طعم الزواج إلا قرب رمضان، فاحذروا كل الحذر فإنها الطَّامة العظيمة، جاء رجل فقال يا رسول الله هلكت، يا رسول الله أدركني احترقت، قال ما صنعت ؟ قال وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم .

- يسأل شيبة عجوز يقول قبل خمس وأربعين سنة جامعت زوجتي وأنا صائم . ماذا أصنع الآن .
- ورجل يسمع الحكم الشرعي والكفارة المغلظة؛ عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، قال يا شيخ عليَّ سبعة أيام جامعت فيها في نهار

رمضان، هذا عليه سبع كفارات كل كفارة صيام شهرين متتابعين؛ المسألة حرمات لله، يجب أن نعظمها وأن نتق الله فيها، فـــاتقوا الله عـــز وجـــل، واحذروا من هذا ، يحرم عليك الأكل والشرب والجماع فاحذر منه ومن أسبابه؛ الشاب لا يملك نفسه إذن لا يقبل ولا يباشر .

- ومن تلك الصور السيئة التي تدرج في حكم الرفث ما يمارســـه بعضـــهم للأسف الشديد مما يسمى بالعادة السرية فيظلَّ يتعاطاها حتى يفرغ شهوته والله في الحديث القدسي يقول (يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلـــي) وأيُّ شهوة تركت من أجل الله إذا كان وصل إلى هذا الحدّ ، وإخراج هذا الماء هو قمة إخراج الشهوة، فاتقوا الله عباد الله فالصوم مدرسة تتعلم ترك هذه العادة السيئة، فابتعد عنها وعن مثيرات الأفكار من صـــور وكـــلام وخلطة، احذر في صومك أن تقع في هذا الرفث .

٢- ومن أهل العلم من قال الرفث هو الكلام الصريح في أمر الجماع : يتكلم بما يتعلم يريد الرجل من زوجته، خصوصًا إذا كان يواجـــه بـــه المـــرأة، فاحذروا من الرفث الكلاميّ يكلِّم زوجته بكلام يدور حول أمور الجماع، احذر وأنت صائم من الرفث الكلامي والفعلي ولك الليل يا عبدالله تفعل وتقول لزوجك ما شئت لكن وأنت صائم ابتعد عن تلك الكلمات ولـــو كانت لزوجتك،

ومسافر مغترب يرسل لزوجته بعض الكلمات في نهار صومه وهو صائم ابتعد عن هذا فهو من الرفث، وأسوأ منه إذا كان لغير الزوجة والعياذ بالله مغازلات محرمة تدور حول هذا الكلام فاتقوا الله معاشر الصائمين .

- ومن صور الرفث الكلامي ما ذكره أهل العلم مما يسميه بعض الناس اليوم النكت الجنسية، يتكلمون حول هذه الأشياء، ويتندَّرون حولها، ويتراسلون بها، وهم صائمون فاتقوا الله عز وجل واتقو الرفث .
- ومن تلك الصور تلك المسلسلات التي تعرض في نهار وليل رمضان – صور من الرفث والإثارة والكلام الغزلي – ويقول الصائم أقضي على وقت صومي وهو يقضي على أجر صومه إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث؛ فاتقوا معاشر الصائمين واحفظوا صيامكم واحفظوا تقواكم، كم وعدكم الله من الاجر العظيم إذا صمتم صياماً تتقونه فيه .

٣- وقال بعض أهل العلم الرفث : هو الفحش من الكلام أيًّا كان، الكلام البذيء الفاحش القبيح، بعض الناس للأسف لسانه متبرئ منه ما يعرف إلا الكلمات السيئة، فيا أخي تربى في مدرسة الصوم فاحرص أن تصوِّم لسانك عن هذه الكلمات فلا تفطر يوم العيد إلا وقد نجَّاك الله منها، ولا تقول لساني تعوَّد عليها فأنت مأمور بترك العادات السيئة وخصوصاً في شهر رمضان، اترك السِّباب، اترك اللَّعنات، اترك القبائح،

ولعلَّ هذا المعنى مما يدخل في الصوم دخولاً أوَّليًّا، لأن سياق الحديث فيه مع الرفث وهو ترك الجماع يدخل هذا كذلك معاشر الصائمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إنِّي امرؤٌ صائم) فعَلِمَنا أن من الرفث السباب والشتام فحافظوا على صومكم من زلاّت هذا اللسان، لنتربى على ترك الغيبة

والكذب قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل بـــه والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخاري .

- مدرسة الصوم تتربى فيها على حفظ أمرين هما من الرفث، مع حفظ نفسك من الوقوع في المفطرات :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بـــين فخذيه أضمن له الجنة) رواه البخاري من حديث سهل بن معاذ رضي الله عنه

- الصوم يربِّيك على :

١- ترك الرفث العملي .

٢- وترك الرفث القولي .

- فتخرج من مدرسة الصيام وقد تهذَّبت أخلاقك، ما أجمل هذا وقد ضمنت الجنة .

أيها المؤمنون عباد الله :

- **كيف نتقي الرفث ؟**

أدلك على ثلاثة أمور نافعة لك إن شاء الله :

أولها :فصم صومًا حقيقياً : الصيام يدعوك لترك الرفث، (الصيام جنـــة، فـــإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحدٌ أو شاتمه فليقـــل إني صائم إني صائم) تذكَّر أنك صائم وذكِّر غيرك، قال العلماء يقولها مرتين :

١- مرة ينصح نفسه ليتذكر صومه ٢- ومرة يعظه الذي يخاطبه ليتذكر صومه .

- انظر إذا حججت تراك تراقب نفسك، يهدونك صابوناً فتقول لا لعلَّ فيه طيب، لعله يؤثر على إحرامي، وإذا صُمْتَ تنتبه على نفسك من المضمضة ومن استخدام فرشة المعجون، كذلك راقب صومك أن لا تخدشه بكلمه، كلما رأيت مثير يثيرك لتتكلم بكلمة بذيئة فقل إني صائم إني صائم، فهذا هو الصوم الحقيقي يا عباد الله .

وثانيها : هدي السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا إذا كانوا صائمين لزموا المساجد، فإن سألهم أحد قالوا نحفظ صيامنا من أن نكذب أو نغتاب مسلماً، اجلس في المجالس التي تحفظ لك صومك، إذا ذهبت إلى الأسواق فلا تذهب إلا لما تحتاجه فتتعجب من الذين يتسكَّعون في الأسواق، والسوق راية الشيطان كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكم من مشكلات تثار في تلك الأسواق، فإن كنت لابد لك من السوق فاتقِّ الله، وابتعد عن المجالس التي هي من مجالس اللغو فإنها قد تجرُّك للغيبة، السلامة لا يعدِلُها شيء يسلِّمون أنفسهم ويسلِّمون شهرهم ويجلسون في المسجد، والمسجد بإذن الله لا تَسُبُّ أحدًا، ولا تغتب أحدًا، ولا تكذِّب على أحد وأنت في بيت الله عزَّ وجل؛ فاتَّجه للأماكن التي تدعوك للمحافظة على صومك .

١- تقيك من الرفث العملي : الحذر من الجماع وأنت صائم، دلَّك عليها ربُّك قال ربي (أُحِلَّلَكُمْلَيْلَةَالصِّيَامِالرَّفَثُإِلَىنِسَائِكُمْهُنَّلِبَاسٌلَكُمْوَأَنْتُمْلِبَاسٌلَهُنَّ) لك الليل يا صائم إياك أن تضيِّع الليل هنا أو هناك ثم تأتي النهار لتقرب

من هذا الأمر فاتقِ الله يا صائم؛ فإن الحل دلَّك الله عليه (عَلِمَاللَّهُأَنَّكُمْكُنْتُمْتَخْتَانُونَأَنْفُسَكُمْ) علم الله أنك لن تصبر على ترك الجماع في الليل والنهار، وهذا الخطاب للصحابة ونحن أولى (فَتَابَعَلَيْكُمْوَعَفَاعَنْكُمْفَالْآنَبَاشِرُوهُنَّ) أي باشروهن في الليل فإذا جاء النهار كفاك الله سبحانه هذه الأفكار.

أيها المؤمنون :

إنه الإيمان، إنه الصيام؛ فاتقوا الله في صومكم من الرفث، واسألوا الله القبول، اللهم إنا نسألك أن تسلِّم لنا صومنا وأن تتسلمه منا متقبلاً، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا أجمعين، قلت ما سمعتم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه أما بعد :

أيها المسلمون عباد الله :

ليس الصيام من الأكل والشرب فقط؛ إنما الصيام من اللغو والرفث، ومن منا يسلَم له صومه فقد تخرج منه الكلمة فيقولها،

فما هي كفارات هذا الرفث ؟

- إن كان الرفث عمليًا :فجامع زوجته في نهار رمضان وهو صائم فهذا فيه الكفارة المغلظة – أعظم كفارة في الاسلام – وهي أن يعتق رقبة، فإن لم يجد فيصوم شهرين متتابعين، فإن عجز عن الصيام وضابط ذلك : أن يكون لا يستطيع أن يصوم رمضان، فهو معذور كذلك في صوم الكفارة، فيطعم ستين مسكين ولا يجوز أن يكرر على مساكين الكفارة، هذا كله ليكفِّر هذه الخطيئة العظيمة التي وقع فيها .
- أما إذا كان الرفث قوليًا: فالله أعلم أنه يكثر من الصدقة؛ فالله عز وجل ذكر المنع من الرفث في الحج، ورسولنا صلى الله عليه وسلم ذكر المنع من الرفث في الصوم؛ وفي الحج والصوم أمر الله بالتطوع :
- في الحج قال الله : (وَمَنْتَطَوَّعَخَيْرًافَإِنَّاللَّهَشَاكِرٌعَلِيمٌ)
- وفي الصوم قال الله : (فَمَنْتَطَوَّعَخَيْرًافَهُوَخَيْرٌلَهُوَأَنْتَصُومُواخَيْرٌلَكُمْإِنْكُنْتُمْتَعْلَمُونَ)

فأكثر من الصدقة؛ فإنها تطهِّر لك هذا الرفث، وهناك صدقة خاصة لتطهر لك رفث الصوم، قال ابن عباس رضي الله عنهما (فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين) رواه أبو داود وابن ماجه بسند حسن .

نسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم؛ صراط الله أنعم الله عليهم، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك أن تقبل صيامنا وقيامنا وصالح حسناتنا أجمعين، اللهم كفِّر ذنوبنا واغفر زلاتنا يا رب العالمين، اللهم يا رحمن السماوات والأرض ورحيمهما ان تتولَّانا فيمن توليت، وتعافينا فيمن عافيت، وتهدينا فيمن هديت ، اللهم أجعل عملنا في رمضاك، وسعينا في تقاك، واجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك، ولا تجعل لنا وليًّا سواك، اللهم انصر الاسلام والمسلمين، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم انصر إخواننا المرابطين والمجاهدين في سبيلك، اللهم أعلي كلمتهم، اللهم سدد رميتهم، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كيد الكائدين، وحقد المتربصين، اللهم سلِّم لنا ديننا، اللهم سلِّم لنا أوطاننا، اللهم سلِّم لنا أنفسنا وأعراضنا، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم لباني هذا المسجد وأهله وأبنائه، اللهم تولَّنا وإياهم برحمتك ولا حول ولا قوةإلا بـ

الخطبة (٣) آيات للمتصدقين

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمـــران: ١٠٢] ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِـــعِ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ،،

أحبة الإيمان والعقيدة، أيها الطيبون المتصدقون، اعلموا أن خير كلامٍ كلامُ الله، وأن خير هدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم اعلموا أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، اللهم فأجرنا من حر النار، ومن سموم النار، اللهم وقنا برحمتك عذاب أهل النار.

يا عباد الله، كان لي حديث في السبت الماضي مع بعض أهل القرى المنكوبـــة وكان حديثي وإياهم يحمل عنوان آيات للمبتلين، فهنيئاً لهم بأجر الصبر علـــى البلاء، وهنيئاً لهم بما أعطاهم الله من آيات الإيمان، وحقـــق في قلـــوبهم مـــن مقامات الإحسان، وأما حديثي وإياكم في هذه الجمعة المباركة، فهـــو عـــن دوركم الذي قمتم به، وصدقكم في بلاءكم الذي ابتليتم به، اختبركم الله في فجيعة إخوانكم فتصدقتم، وجدتم، وأغثّتم، وقدّمتم، والله يقول: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[إبراهيم: ٧].

إن حديث خطبتنا هذه يا عباد الله، ليحمل عنوان آيات للمتصدقين، فلهم في هذا البلاء آيات، ولنا من بعدهم في هذا البلاء آيات، وهنيئاً ثم هنيئاً لمن ابتلاه

الله سبحانه؛ فصدق الله، {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}[محمد: ٢١].

أيها الإخوة، إن موقفكم في الخطبة قبل الماضية لم يكن ليمر هكذا أبداً، دون ذكر في الأرض، وذكر في السماء، إن أهل هذا المسجد المبارك الذين جادوا بأموالهم، فأقرضوا الله صدقاتهم، وضحّوا بما معهم حتى بلغت صدقات المصلين في هذا المسجد أكثر من صدقات كثير من المساجد، فعلى أيّ شيء يدل هذا، وأي آية في ذاك؛ إنها آية في قول الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣]، هي آية على طهارة قلوبكم، هي علامة على نبالة قدركم، وشرف إيمانكم، فأكرم بكم، هانت أموالكم عليكم في جنب الله، فأقرضتموها لله، فمن خير منكم، ومن جاد بخير مما جدتم، أنتم وربي خير الناس بخبر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد الناس، يقول عليه الصلاة والسلام: (خير الناس أنفعهم للناس)،ومنازل الخلق في أربعة آتاهم الله الدنيا: عبد آتاه الله علم ومال، فأخذ يُنفقه لوجه الله سبحانه؛ فذاك بأفضل المنازل، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]، وفي هذا فليفرح المتقون، وليستبشر المؤمنون.

وأفضل الصدقة بحسب حالها، وحال المتصدق بها، ووقتها التي تُصدّق بها فيه، أفضل الصدقة من حيث الجهة، بيّنه نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ إذ يقول في حديث أبي هريرة، وقد سئل بأبي وأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيّ الصدقة أفضل؟ قال: "أن تصدّق وأنت صحيح"، لا تنتظر وقت الموت،وقت خروجك من الدنيا لتنفق مالك، لا، بل تتصدق، وأنت شاب

صحيح، تتصدق وأنت رجل فتيّقويّ، أن تتصدق وأنت صحيح شحيح؛ بخيل على مالك، تُحب مالك، تخشى الفقر وتأمل الغنى،لك أعمال، ولديك آمال، وتُخطط في مشاريع، وتخشى من النوائب، لكنك تصدقت لله، هذا أفضل حال للمتصدق، ومع ما يمر به العالم من إفلاس عالمي، ومع ما يمر به مجتمعنا هذا من غلاء فاحش، وأنت تتصدّق، وأنت تجود،تالله هذا إن دل؛ فإنما يدل على طهارة قلبك، {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

أخي الكريم، لا تحسبن الصدقة عند الله بالأمر الهيّن،في مسند أحمد بسند صححه الألباني في صحيح الجامع أن نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (مايخرجرجلشيئًامنالصدقة؛حتىيفكعنهالحييسبعينشيطانًا)،لأن النفس تميل إلى المال، فإذا تصدّق المسلم دلّ ذلك على طهارته.

وأفضل الصدقة ما أخبر به صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فاسمع فيماذا تتصدق؟ لتكن صدقتك في أكرم حال، وفي أعظم مشروع صدقة؛ يقول عليه الصلاة والسلام: (أحب الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم؛ تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعا)، فإذا كان حالك كما ذكرنا، والمشروع الذي تُقدّم فيه الخير كهذا الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الوقت وقت مسغبة، وشدة وكارثة، فهذه صدقة من أعظم الصدقات التي تقدمها لله رب العالمين، إذاً هي الفرص التي لا تعوّض.

إن من فضائل صدقتك يا عبد الله، ما ستجده أمامك في الدنيا قبل الآخرة، إن صاحب المعروف لا يقع، وإذا وقع في مصيبة وجد له متكئًا؛ لأن الله يُدافع عن الذين آمنوا، يقول بأبي وأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (صنائع المعروف

تقي مصارع السوء والهلكات والآفات)، كم من سوء كاد أن يُكتب عليك لولا أنك دفعته بصدقتك؟ كم من باب من أبواب السوء كاد أن يغشاك لولا أنك اشتريت نفسك من الله بصدقتك؟ بل ويُرفع السوء بالصدقة، علمنا هذا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ إذا كُسفت الشمس، ماذا نفعل؟ قال: "فادعواالله،وكبرواوصلواوتصدقوا "،متفق عليه، قال العلماء: لأن الصدقة تدفع السوء، وترفع البلاء،بل ويُعالج بها المريض في الحديث الحسن عند البيهقي، يقول عليه الصلاة والسلام، واسمعوا يا أهل الأمراض، وما منا إلا مريض، أو مبتلى بقريبمريض، ويتولى علاجه، ويبحث عن دوائه،ويطلب من الله شفاءه، ماذا يا رسول الله، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الحسن لغيره: (داووا مرضاكم بالصدقة)، هل جرّبت هذا العلاج، جرّبه جمع من أهل العلم، أبو عبدالله الحاكم صاحب المستدرك، الإمام المعروف، خرجت في وجهه قرحة، تقرّح وجهه تقرّحاً شديداً، واستمرت سنة كاملة، جرّب معها ما جرّب، وحاول معها بما حاول؛ حتى أصبح يدور على أهل الخير يطلب منهم أن يدعوا له، ودعوا له بدعاء كثير، ثم ماذا بعد السنة يا عباد الله؟ و لم يتقدّم العلاج خطوة للأمام، حتى بنى سقاية ماء عند باب بيته، وجعل فيها الماء، وتصدّق بها على الناس،ويالله رب الناس، ما مرّ أسبوع حتى عافاه الله من تلك القرحة، فأصبح وجهه كأفضل ما يكون! صدقت يا رسول الله: (داووا مرضاكم بالصدقة) .

إخوة الإيمان، أرأيتم لو أن أحدكم جاء إليه رجل، وقال له: يا فلان، أطلب منك أحد طلبين؛ إما أن تتصدّق عليّ، وإما أن تُقرضني، فأنا في حاجة شديدة،

إن كثيراً منا سيفكر – أيها الأخوة – في القرض؛ لأن القرض يجب ردّه شرعًا، وقد يأخذ على ضمانته رهناً، فيقول في نفسه: اقرضه؛ فإن ردّ المال رجع لي مالي، لكنك أخطأت – يا عبد الله – نسيت أن الصدقة أفضل من القرض، إذا أقرضت إنما تُقرض هذا العبد، أما إذا تصدّقت فإنما تُقرض الله رب العالمين، القرض قرض، والصدقة قرض، لكنّ الصدقة قرض مضمون؛ لأن الذي تكفّل به هو ربنا سبحانه وتعالى في قدسه: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة: ٢٤٥]، مضمون لا يمكن ما يرجع لك رأس المال، أنت تتعامل مع الله، وقرض الله تُشرع فيه الأرباح، وأما قرض الناس فيحرم أن تتربّح منه؛ لأن ذاك ربا: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: ٢٧٦]، يُعطيك الله أرباحاً على قرضك، ولن تجد أعظم نسبة من الأرباح فيما تتعامل بينك وبين الله، أعلى نسب الدنيا أن يُشطّروا لك صدقتك؛ عشرة بالمائة، عشرين بالمائة، نقسمها لك رأس المال على عشرة، ونعطيك ربحك، نقسم لك رأس المال على عشرين، ونعطيك ربحك، أما ربي فما يقسم ربي سبحانه وتعالى، بل يُضاعف، ويضرب الأرباح عنده مضروبة مضاعفة، وحاصل الضرب سبعمائة: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ٢٦١]، أقل ربح الربح المضمون الصدقة بسبعمائة، ثم بعد ذلك الزيادات لمن شاء الله رب العالمين، يقول عليه الصلاة والسلام: (من أنفق نفقة في سبيل الله كُتبت له سبعمائة ضعف)، كم تصدّقت بالأمس؟ بمائةريال!كُتبت لك سبعون ألفاً، كم تصدقت بالأمس بألف ريال كتبت لك



– يا عبد الله – سبعمائة ألف، والله يُضاعف لمن يشاء، جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله، هذه ناقة في سبيل الله، فقال: "لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة"، هذا المضمون، الذي تكفل الله به، وربي يزيد.

وكيف تحصل الأرباح – يا عباد الله – ؟ اسمعوا لهذا الكرم، إذا تصدّق أحدكم فلا تقع صدقته في يد الفقير؛ حتى تقع في كف الرحمن: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} [التوبة: ١٠٤]، حتى تقع في كف الرحمن فيُربيها له، وإن كانت تمرة حتى تصير مثل الجبل، والتعامل مع الله ليس فيه خسارة أبداً، لا تخسر، لا تُفكر بالخسارة من أيّ جهة؛ حتى لو كسد الاقتصاد العالمي، حتى لو نزل سعر الفوائد الربوية؛ لأنك تتعامل مع رب العالمين سبحانه، الذي يُنفق من خزائن السماوات والأرض، يقول بأبي وأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ثلاث أُقسم عليهنّ، وأُحدثكم حديثاً فاحفظوه، أما الثلاث الذي أُقسم عليهنّ: فإنه ما نقص مال من صدقة)، لا يمكن تخسر أبداً، والأعجب من هذا؛ أن الله يرد عليك رأس المال وتستمر لك الأرباح، كيف هذا؛ هذا فضل الله سبحانه، يرد لك رأس المال: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: ٣٩]، بل ويُعطيك رأس مال جديد؛ لكي تتعامل معه مرة أخرى، ونداء الله: "يابن آدم، أنفق أُنفق عليك" هذا نداء الله، الرزق رزقه، والمال ماله، ومعاشكم من عنده، "يابن آدم، أنفق أُنفق عليك"، ورجل يسير في فلاة من الأرض، فإذا بسحابة تظله، يرفع رأسه للسحابة، فإذا به يسمع صوتاً يتكلم في السحاب، يا عباد الله، ليس العجب أن السحابة تتكلم، لكنّ العجب ماذا قالت؟ وماذا قيل لها؟ فإذا بالصوت يقول للسحاب: اسقي

حديقة فلان، فيتوجه السحاب بأمر الله سبحانه وتعالى؛ حتى يستوي ويغطي بستانًا، ثم يصب ماء، لا تخرج عن حدود هذا البستان، فيلحق الرجل السحابة، فإذا برجل قائم يحوّل الماء بمسحاته في مزرعته، قال: من أنت؟ أنت من؟ قال: اسمي فلان، فإذا نفس الاسم الذي أمر الله السحابة أن تسقي حديقته، قال: اسمع ماذا تفعل؟ لماذا هذا الرزق الذي يُصب عليك من السماء؟ لماذا هذا السحاب الذي يسير لك من دون الناس؟ قال: أما وقد سألتني؛ فإني أنظر لما يخرج من هذه الحديقة، فآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه، وأتصدّق على المساكين بثلثه، من هذا الرجل؟ ما يعنينا أن نعرف اسمه، المهم أن نعرف وصفه، هذا رجل يتصدق دائماً بثلث ماله، هذا رجل كان صاحب بستان ويتعامل مع الله بالثلث، الثلث قرض لله، وربنا يعيده أضعافاً مضاعفة، فهنيئاً لكم بصدقاتكم، وهنيئاً لكم بطهارة نفوسكم، هنيئاً والله لكم إذ ابتلاكم الله، فصدقتم الله،واستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم ..

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي تعظيماً لشأنه، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وما زلنا مع صاحب الصدقة، قرأنا أخباره في الدنيا، فما أخباره يوم القيامة؟ دعونا – أيها الأخوة – نتوجه من هذا المكان في رحلة مع صاحب الصدقة، دعونا ننظر إليه مع أول منازل الآخرة، يوم أن يوضع في قبره، عند الحاكم بسند صحيح يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إن الميت أول ما يوضع في القبر، يتخلّى عنه أهله؛ حتى يسمع خفق نعالهم)، هذه أول ليلة ستكون في القبر – يا عبد الله – وأعظِم بأول ليلة في القبر! قال: (فإن كان مؤمناً أتته الصلاة من قِبل رأسه، وأتاه الصيام عن يمينه، وأتته الزكاة عن يساره، وأتته الصدقات من صلة وإحسان إلى الناس عند رجله، فإذا أُتي من قِبل رأسه، قالت: الصلاة ليس لكم من قِبَلي مدخل، فإذا أُتي عن يمينه، قال: الصيام ليس لكم من قِبلي مدخل، فإذا أُتي عن شماله، قالت الزكاة: ليس لكم من قِبلي مدخل، فإذا أُتي من قِبل رجليه، قالت الخيرات: من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس ليس لكم من قِبلي مدخل)، هذا هو صاحب الصدقة – عباد الله – فإذا انشق القبر، وخرج صاحب الصدقة إلى أرض المحشر، والناس في شدة الزحام يغشاهم العرق، وتدنوا منهم الشمس، وصاحب الصدقة أين؟ يقول عليه الصلاة والسلام كما عند أحمد بسند صحيح (وكل صاحب صدقة يوم القيامة تحت ظل صدقته)، أما الذي تصدّق وأعظم الإخلاص حتى خبأها عن شماله، فهذا تحت ظل عرش الرحمن سبحانه، فإذا قام الناس لرب العالمين، وبدأ الحساب، ودُعي الناس، في حديث عدي بن حاتم: (ما منكم من أحد إلا وسيكلّمه ربه، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا

ما قدّم، وينظر أمامه فلا يرى أمامه إلا النـــار؛ فـــاتقوا النـــار، ولـــو بشـــق تمرة)،(ياعائشةُ! استَتِريمنالنار؛ولوبشقتمرة)،هذا مقامك بين يدي الله، ســـتقوم وربي، فاجعل بينك وبين النار حجاباً إذا قمت بين يدي الله مـــن حجـــاب الصدقات، وعبدٌ غفر الله له ماذا فعل؟ سقى كلباً شربة ماء،سقى كلب مـــاءً، فكيف بمن سقى العطاشى من المسلمين، وأطعم الجوعىمن المؤمنين! كم لـــه عند الله، ورجل قام عند الله سبحانه وتعالى فإذا به لم يعمل خيراً قط، قال لـــه الله رب العالمين يكلمه: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، غير أني يا رب كنـــت أُداين الناس، فكنت أقول لغلامي: خذ ما تيسّر، واترك ما تعسّر، وتجاوز عـــن الناس؛لعلَّ الله أن يتجاوز عني، طهارة النفس – يا عبد الله – أن تـــوق شُـــح نفسك، تنجوا بين يدي الله رب العالمين، فقال الله رب العالمين: قد تجـــاوزت عنك.

فإذا قام صاحب الصدقة على أبواب الجنة دُعي من باب الصدقة، وأنت من أيّ باب ستدخل الجنة؟، هل أنت كثير الصيام؟ كثير الجهاد؟ كثير الصلاة؟ أم أنك كثير الصدقة، دُعي من باب الصدقة، فإذا دخل الجنة، يقول عليـــه الصـــلاة والسلام: (أيما مسلم يكسي مسلماً على عري كساه الله من خضر الجنة، أيمـــا مسلم يُطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، أيما مســـلم يســـقي مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم)، فهذه – يا عباد الله– الصدقة، إنها برهانٌ على إيمانك، فهنيئاً لك الإيمان،الصـــدقة تكفـــير لســـيئاتك: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]، الصدقة طريقك للسباق إلى الجنة فلا تجعل أحد يسبقك: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُـــمْ وَجَنَّـــةٍ عَرْضُـــهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّـــرَّاءِ

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وما زلنا - يا عباد الله - وما زال الكلام موصولاً، وما زلنا ننادي أنفسنا وإياكم أن نجود بأنفسنا للنجاة بين يدي الله سبحانه، وما زالت مشاريع الخير تُعرض عليكم، وها نحن للجمعة الثانية في مشروع تسكين هؤلاء المتضررين؛ تسكيناً مؤقتاً حتى تُبنى لهم بيوتهم، وتُسد جوعتهم، وتُكسى عورتهم، وتُؤنس وحشتهم، فمن الذي يجود؟ جاد كثير منكم، وهنيئاً لهم بالجود؛ حتى جمعنا أسهماً كثيرة من فضل الله عز وجل، جاد رجل بسهم، وجاد آخر بسهمين، وجاد ثالث بخمسة، ومن زاد زاد الله عليه، وتصدقت نساء بذهب وحُلي، وأكثرن أيها النساء من الصدقة، كما أوصاكن عليه الصلاة والسلام، وما زلنا معكم في هذه الجمعة - يا عباد الله - ندعوكم إلى أبواب الجنة، وندعو أنفسنا وإياكم أن نكون من أهل الصدقات، الذين أقرضوا الله قرضاً حسناً فضاعفه لهم أضعافاً كثيرة.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا يا رحمن يا رحيم، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اجعل صدقتانا نوراً لنا يوم القيامة، برهاناً بين أيدينا على إيماننا، اللهم نجنا بها من كرب يوم القيامة، اللهم اجعلها تشفع لنا يوم الدين، اللهم احجب عنا عذاب النار؛ ببركة هذه الصدقات، اللهم تقبلها منا بقبول حسن، اللهم تقبلها منا بقبول حسن، لا إله إلا أنت سبحانك؛ إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننا من الخاسرين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات .



الخطبة (٤) تكريم الله لحفظة كتابه

الحمدللهالذيعلّمالقرآن،وخلقالإنسان،علمهالبيان،أحمدهربيفالحمدلله، (الحمدللهالذيأنزلعلىعبدهالكتابولميجعللهعوجا)،وأُسبحهسبحانهوأُكبرهتبار كا لله، (تبار كالذيتّلالفرقانعلىعبدهليكو نللعالميننذيرا).

أنزلاللهتعالىعليناو حيالسماء،أنزلاللهتعالىعليناأحسنالحديث،أنزلاللهتعالىعليناأ فضلالكتب،ثمقالعزمنقائل: (تنزيلٌمنالرحمنالرحيم)، (تنزيلٌمنحكيمحميد)، (تنزيلالكتابمناللهالعزيزالحكيم)، (تنزيلالكتابمناللهالعزيزالعليم)، (تنزيلالكتابلاريبفيهمنربالعالمين).

أيهاالمؤمنون،عباداللهوصيةاللهللأولينوالآخرين: {يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواالتَّقُوااللَّهَحَقَّتُقَاتِهِوَلَاتَمُوتُنَّإِلَّاوَأَنْتُمْمُسْلِمُونَ} [آلعمران/١٠٢]، إنخيرالحديثكلامالله،وإنخيرالهديهديمحمدصلىاللهعليهوآلهوسلم،وكلمحدثةبدعة،و كلبدعةضلالة،وكلضلالةفيالنار.

أيهاالمؤمنون،عبادالله- إخوةالإيمان - كرّماللهتعالىحملةالقرآن،كرّمهماللهتعالىفزادهمتشريفا،كرّمهمربيسبحانه؛فخ صّهمبكلامهإجلالاًوتشريفاً،ماصدورٌتحويكلامالله إلاوتشرفبأنهامنصدورأهلالعلم، قالربيسبحانه: {بَلْهُوَآيَاتٌبَيِّنَاتٌفِيصُدُورِالَّذِينَأُوتُواالْعِلْمَ} [العنكبوت/٤٩]، ماسمعنابعالمابتدأبالعلمإلاوابتدأبحفظكلامالله سبحانه،ماجلودٌتحويالقرآنإلاويحرماللهأجسادهاعلىالنار،ذكرذلكأبوعبيدرحمهاللهتعالىلماتكلمعنحديثعقبةبنعامررضيالله تعالىعنهقال:سمعترسولصلىاللهعليهوآلهوسلميقول: (لوجُعلالقرآنفيإيهابثمأُلقيفيالنارمااحترق) رواهالإمامأحمدبسندصحيح.

ويكرِّمربناسبحانهوتعالىحفظةكتابه،فكيفكانتكريماللهللحفاظوللحافظات؟،يقولعليهالصلاةوالسلامفيبيانتكريماللهلحفظةالقرآنالكريم: "يجئالقرآنيومالقيامة،فيقول: يارب، حلّه، فيُلبستاجالكرامة" تاجياعبادالله، أعدّهاللهتعالى، وخصصهلحفاظالقرآن، ثميقـــــول

القرآن: "يارب، زده، فيُلبسهاللهحلةالكرامة"، حلةياعبادالله، جُعلتلكيتميّز حافظالقرآنمنبينالناسيومالقيامة، ويأتيحافظالقرآنوقدوضعاللهتاجالكرامةعلىرأسه، ويأتيحفظةالقرآن، وقدألبسهمااللهتعالىحلةالكرامةبيده، "ثميقول: يارب، ارضعنه، فيُقالله: اقرأورتل، ويُزادبكلآيةحســـــنة"،

رواهالترمذيمنحديثأبيهريرة، وزادالطبراني: "يُقالله: اقرأورتل؛ كماكنتترتلفيالدنيا، وارتقفيالدرجات؛ فإنمنزلتكمعآخرآيةمعك"، فهنيئاًلكياحافظالقرآن، إذاقرأتالقرآنكلهفعلوتفيدرجاتالآخرة، قالابنحجرالهيثميالشـــــافعيرحمهالله:

"هذاالخبرالمذكورخاصٌبمنيحفظالقرآنعنظهرقلب، لالمنيقرأهمنالمصحف" .

أنزلاللهكتاباًياعبادالله، وجعلمنخصائصهأنهلايغسلهالماءكمافيصحيحمســـلم، أتدرونلماذا؟لأناللهتعالىجعلحفظالقرآنفيصدورالحفاظقبلأنيجعلهمحفوظاًبينسطورالصحائف، فلايُغسلبالماء، أنزلاللهكتاباًواتخذلهأهلين، فمنهمأهلالله، يارسولالله؟ قالصلىاللهعليهوآلهوسلم: "أهلالقرآنهمأهلاللهوخاصـــته"، انظروالمنتنظـــرون؟وبمنتبتـــهجون

؟أهلالقرآن، أهلهذهالشهادةالعظيمة، أهلهذاالعملالكريمهمأهلاللهوخاصـــته، رواهأبوداودبسندصحيح.

وتكرّمالملائكةحفظةالقرآن،فيأتيتكريمالملائكةلحملةكتابالله سبحانه،فترفعلهمأقدار هم،وتحتفيبهموبأعمالهم،فمعمنسيكونحفظةالقرآنياعباداللهمنملائكةالرحمانسبحانه ؟، روىالبخاريمنحديثعائشةرضياللهتعالىعنهاقالت: قال صلىاللهعليهوآلهوسلم:"الماهربالقرآن،وهوحافظلهمعالسفرةالكراماليررة"،تحتفيبه ملائكةقدسالرحمن،وتُحيطهالسفرةالكراماليررة.

ويأتيتكريمالرسولصلىاللهعليهوآلهوسلملحفظةالقرآنوالعاملينبه،فيجعلصلىاللهعلي هوآلهوسلمفيهمالخيرية،بليشهدبأنهمخيرالأمة،يرويالبخاريمنحديثعثمانرضياللهتعال ىعنهقالرسولكمصلىاللهعليهوآلهوسلم:"خيركممنتعلمالقرآنوعلّمه"،تكريمٌمنرس ولناعليهالصلاةوالسلاملحفظةالقرآنلمعلميالحلقالقرآنية، خيركممن؟ يجيبعليهالصلاةوالسلام،فيقول:"خيركممنتعلمالقرآنوعلّمه"، ويزدحمشهداءأُحد،والشهادةعنداللهبمكان،فمنستقدّم،يارسولاللهإلىاللحد؟ وكلهمفازوابفضلالشهادة،

ويأتيتكريمآخرمنرسولناعليهالصلاةوالسلاملحملةالقرآن،فإذابرسولناعليهالصلاةوال سلاميقول:"قدّموإلىاللحدأكثرهمقرآناً"،فيُنظرفيسجلاتالتحفيظ،ويُسألالقراءالذي نكانوايعلّمونالقرآنفيالمسجدالنبوي،ويُبحث،فإذاأُشيرإلىأحدهمأنهأكثرقرآناًمنالآخ رقدّمهعليهالصلاةوالسلامفيلحده،ثميأتيبعضحدثاءالعهدبالإسلام؛ليسألواعنأمرٍخفي عليهم:يارسولالله،منأحقالناسبالإمامةفيالدين،يارسولالله؟ منأولىالناسبالتقدّمفيالصلاةبالمسلمين ؟ويأتيتكريمثالثمنرسولكمعليهالصلاةوالسلاملحفظةالقرآن،فيقولأبيبنأميعليهالصلا ةوالسلامكماعندمسلممنحديثأبيمسعودالأنصاري:"يؤمكمأقرؤكملكتابالله"،و

فيحديثآخرقال:"يؤمكمأكثركمقرآناً"،{وَاجْعَلْنَالِلْمُتَّقِينَإِمَامًا}[الفرقان/٧٤]، فمنأولىببإمامةالمتقينأكثرهمأخذاًلكتابالله،وهربالعالمين، هذاالصديقرضياللهتعالىعنهرضيهاالصحابةلخلافةالمسلمينبأنيحكمبينهم،ويتولىأمرهم،تدرونلماذا؟قالوا:رضيكالرسولصلىاللهعليهوآلهوسلملنافيديننا – يومأنقدّمهإماماًعليهمقبلموته – أفلانرضاهلدنيانا،حقاًوالله"إناللهيرفعبهذاالقرآنأقواماًويضعآخرين"،رواهالإماممسلم.

ويُكرّماللهحفظةالقرآن،وتحتفيالملائكةبحملةكتابالله،ويُجلالرسولصلىاللهعليهوآلهوسلمفيالدنياالحفّاظ،فيذكرلنامنمكانتهمماسمعنا،ثميجيءتكريمالقرآنلأصحابه،يأتيالقرآنليُكرّمحفاظهوالعاملينبه،يقولصلىاللهعليهوآلهوسلم:"ويجيءالقرآنكالرجلالشاحبيومالقيامة،فيقوللصاحبه:هلتعرفني؟أناالذيكنتأُسمرليلك،أناالذيكنتأُظمئهواجرك،إنكلتاجرمنوراءتجارته،وأنالكاليومممنورا ءكلتاجر،فيُعطىالملكبيمينه،ويُعطىالخلدبشماله،ويضععلىرأسهتاجالوقار"،اللهأكبر،أهذهالكرامةوذاكالإجلالللكلمنحفظوعملبكلاماللهالملكالمتعال!.

ثميبدأالقرآنيومالقيامةفيتكريمأولياءالأمور،قالصلىاللهعليهوآلهوسلم:"ويُكسىوالداهحلّتين"،تمييزاًلآباءوأمهاتالحفاظمنبينجميعالآباءوالأمهات،يميزهماللهمنبينالعالمين،ويُكسىوالداهحلّتين،أرادصلىاللهعليهوآلهوسلمأنيُقرّبلناوصفهاتينالحلتين،فقال:"لاتقوملهمالدنيا"،فيروايةالحاكمقال:"ويُلبسهتاجاًمننور،ضوءهمثلضوءالشمس"،و يأتيكأبوحافظالقرآنفترىهيُكرّميومالقيامةبحلةلاتقوملهاالدنيا،ويُلبستاجضوءهمثلنور

ضوءالشمس،فيقولالأب،وتقولالأم:يارب،بأّيشيءكُسيناهذا ؟فيقولربالعــــالمين: "بأخذولدكماالقرآن"، صححهالشيخالألبانيرحمهاللهتعالى.

أيهاالمؤمنون،ياعباداللهأكلهذامنإجلالاللهوتكريمهلحفظةكتابه!أهكــــذايُكرمون! تكرّمهمالملائكة،ويُسلّمهمالقرآنجوائزهميومالقيامة،أهكذاجعلعليهالصلاةوالسلام كانتهمبينناوفينا،أتدرونلماذاكلهــــــــــــــــــــــــــــــذاالتكريم؟

أتدرونلماذاينبغيعليناأننكرمونجلّحفظــــــــــــــــــــــــــةالقرآنالكريم ؟، عنأبيموسىالأشعريرضــــــياللهتعالىعنهقال:يقولصلىاللهعليهوآلهوســـــــلم- فيمارواهأبوداوودبسندصـــحيح- ماذاقالعليهالصلاةوالسلام؟،قالصلىاللهعليهوآلهوسلم:"إنمإجلالاللهتعالىإجلالث لاثة،وذكرمنــــــــــــــهم:وحاملالقرآنغيرالغاليفيه،ولاالجافيعنــــــــــــــه"، يومأننكرّمحفظةالقرآنيومأننجلّحافظاتكتابالله،فإنهذامنإجلالنالربناسبحانهوتعالى،فإيا كأنتقصرأوتفرطفيإجلالاللهربالعالمين،وقدأمركبإجلالحفظةالقرآنالكريم،وعنديومال تكريم،وفييومتوزيعالجوائزعندهايقولكلمنحُرمهذاالفضل:(ياليتنيكنتمعهمفأفوزفوز اًعظيمًا)إنكانهذاهوتكريمالله،وملائكته،ورسوله،وكتابهلحفظةالقرآن،فكيفينبغيأنيك ونتكريمالمجتمعلهذهالثلّةالتيشرّفهااللهتعالىبحملكتابه.

حديثيوإياكمفيإجابةهذاالسؤالبعدجلسةالاســـــــــــــــــــــــــــــتراحة، قلت:ماسمعتم،وأستغفراللهليولكم،فاستغفروه؛إنههوالغفورالرحيم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيمًا لشأنه، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

يا حافظ القرآن، ما أجمل أن تأتي يوم القيامة في ظل عرش الرحمن، ضمن زمرة من الشباب، نشأوا في عبادة الله،

يا حافظ القرآن، ما أروع أن تكون في بيت من بيوت الله، مع صحبةٍ يتلون كلام الله، ويتدارسونه فيما بينهم، فتتنزل عليكم السكينة، وتغشاكم الرحمة، وتحفكم الملائكة، ويُشرفكم الله تعالى، في



ذكر كمفي الملأ الأعلى،

يامنمَنّاللهتعالىعليكبحفظالقرآنأخلصللهسبحانهوتعالى،وإياكأنتؤمَنّالناسأوأنتُقرئالناس؛ليُقال:قارئ،قمبهالليل،"فلاحسدإلافياثنتين:ورجلآتاهاللهالقرآنفهويقومبهآناءالليلوأطرافالنهار"،هذهالغبطةالمحمودة،ليستعلىمايتنافسفيهالناسويتقاتلون من حظوظ الدنيا،

ياحافظالقرآن،تعاهدالقرآن،تعاهدمراجعتهوتثبيتهفيالصدر،فإذاقمتبينيديياللهيومالقيامةفسألكعنشبابكفيماأفنيته،قلت:يااللهٰ،كنتُفيبيتمنبيوتك،أتعلمكلامك،أحفظه،أُكرر مراجعتهطوالحياتي،أُقرئهللناسفيسائرعمري،فيرضىاللهتعالىعنك.

وأنتأخيالمبارك،مهماطالعمرك،وازدحمتأعمالكأماآنلكأنتُقبلعلىحلقالقرآنالكريمفتكونمنأهله،

أماآنلكأخيالمبارك،أنتحفظنفسكمنالفتنبحفظكلامالله،بليحفظكاللهمنأعظمفتنةفيالعالمبحفظعشرآيات،فكيفبحفظالقرآن!،يقولصلىاللهعليهوآلهوسلمسيدولدعدنان:"منحفظعشرآياتمنأولسورةالكهفعصمهاللهمنفتنةالدجال".

أيهاالآباء،أيهاالمسؤولون،أيهاالمربّون،أيهاالإخوةالكرام،أيتهاالأمهات – إنكنتنستمعنهذاالكلام – إنالمجتمعيجبأنيكرّممنكرّماللهسبحانهوتعالى،فيحتفيبهؤلاء،يحتفيبهمثناءًوتقديراًوتشريفاً،يُقدّمونفيالمحافل،ويُقدمونفيسائرأُمورهمبماقدّمهماللهسبحانه،يُدافععنأعراضهم،ويُوقفمعهم،ويُدعىلهمبالخير،ويُثنىعليهم،تأملوافيبعضبلادالأعاجم–منبلادالهندوالسند –تأملواكيفيفعلونمعحفظةالقرآن ؟إذاحفظالابنمنهمالقرآنلقّبوهبالقارئ،فيقولون:جاءمحمدالقارئ،وذهبعبداللهالقار

ئ؛تشريفاًلهمنبينأقرانه،بلويكتبونهذافيبعضالسجلات: اسمهواسمأبيهواسمعائلته،ثميكتب
ونالقارئ،حتىيُشرفويُقدّمإذاأظهربطاقته،ونحنأولىبهذا؛لأنناتحبكلاماللهِ،ونجلمنيج
لاللهِ،ولأننانعلمأنهلاعزلناإلابكتاباللهِ؛حفظاًوتدبراًوعملاًوتحكيماً،فينصرنااللهسبحا
نهوتعالىكمانصرالذينمنقبلنا،فلنحتفِبهم،ولنجلّهم،ولنعرفلهمقدرهم،ولنشرّفبهمآ
باءهم،ولنمدحبهممعلّميهم؛فهذاوربيالشـــــرف:
{وَفِيذَلِكَفَلْيَتَنَافَسِالْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين/٢٦]، {قُلْبِفَضْلِاللَّهِوَبِرَحْمَتِهِفَبِذَلِكَفَلْيَفْرَحُواهُوَخَيْرٌمِمَّايَجْمَعُونَ} [يــونس/٥٨]، قــالعمر رضـــي الله عنــه: "فضلاللهالإسلام،ورحمتهالقرآن" .

أسألاللهالكريم،ربالعرشالعظيمأنيحييناعلىحبالقرآن،وأنيرزقناوإياكمتدبرهوالعملبهومحبةأهله،وأنيحشرنايومالقيامةفيزمرةمنرضـــيااللهتعالىعنهم،اللهمإنانسألكياربنايامولانا،اللهمإنانسألكموجباترحمتك،وعزائممغفرتك،والغنيمةمنكلبر،والسلامةمنكلإثم،والفوزبالجنة،والنجاةمنالنار،إلهناربناسيدناووليأمرناووليندعمتنايااللهُ،إناعبيدكوبنوعبيدكوبنوإمائك،نواصينابيدك،ماضٍفيناحكمك،عدلفيناقضاؤك،نسألكبكلاسمسميتبهنفسك،أنزلتهفيكتابك،أوعلمتهأحداًمنخلقك،أواستأثرتبهفيعلمالغيبعندكأنتجعلالقرآنالكريمالعظيمربيعقلوبنا،اللهماجعلالقرآنالعظيمربيعقلوبنا،وجلاءأحزاننا،وذهابغمومناوهمومنا،اللهمعلّمنامنهماجهلنا،اللهموذكّرنامنهمانُسّينا،اللهموارزقناالعملبهآناءالليلوأطرافالنهارعلىالوجهالذييُرضيكعنا،اللهماجعلهحجةلنالاعلينا،اللهماجعلهشـــافعاًلنا، وقائداًلناإلىالجنة،لاشاهداًعلينا،اللهمخذبأيديناللتقوى،وارزقنامنالعلمماتحبوترضى،وحرمأجسادناوأجسادوالديناعلىالنار؛فإنأجسادناغداًعلىالنارلاتقوى،اللهمو

احفظلنا حفظة القرآن، اللهم احفظلنا معلمي القرآن، اللهم اصرفعنا الفتن، اللهم أنعم لينا بنعمة الأمن، اللهم ارزقنا العمل بكتابك وسنة رسولك على ما يُرضيك، اللهم آمين، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرسة المواضيع :

الموضوع **الصفحة**

- **التفسير التربوي لسورة الدخان ..... (٢)**
- **عمـــل اليوم والليلة الجزء (١) ..... (٢٠)**
- **قصـــــــة يوسف دروس وعبر..... (٥٦)**
- **كتاب الصيام من الأربعين الفقهية..... (١١٠)**
- **أحكام الصيام ونوازله المعاصرة..... (١١٧)**
- **الخطب المنبرية الرمضانية ..... (١٣٣)**
- **الخطبة (١) كيف أصوم من اللغو..... (١٣٤)**
- **الخطبة (٢) كيف أصوم من الرفث..... (١٤٦)**
- **الخطبة (٣) آيات للمتصدقين ..... (١٥٥)**
- **الخطبة (٤) تكريم الله لحفظة كتابه (١٦٦)**